

الفصل الأول

في دائرة الألوهية.. والواجبات الدينية

١ - بيت الله هو ما يعلن فيه ذكر الله وحده :

تلميذة في الصف الثاني في المدرسة الثانوية تشكو من عدم قدرتها على الاجابة عند السؤال شفويا في الفصل رغم انها تعرف الاجابة الصحيحة . ولكنها تحس : ان هناك شيئا ما يمسك لسانها ويمنعها من الكلام . واذا تكلمت يخرج الكلام بلقطة . وهي تعاني من هذه الحال وتبكي بسببها وكادت ان تياس وتقدم على الانتحار .

وتحاول الآن ان تشجع نفسها . ولكن - كما تقول - ليست لديها القدرة الكافية . وهناك واحدة اشارت عليها بالذهاب الى الكنيسة . اذ ربما يكون عليها عفريت يطلعه الأستاذ الموجود هناك ! وتسال :

(١) هل حرام ان اذهب الى الكنيسة حتى ولو كان هذا المكان أجس فيه شفائي ؟

(٢) ثم ما رأى القرآن الكريم في هذه المشكلة ؟ وما الحل الذى افعله لحل هذه المشكلة ؟

● هذه التلميذة يغلب عليها الحياء . وتحب ان تظهر دائما في صورة كريمة ، او فى صورة : انها متفوقة على قريناتها . ومن أجل ذلك تخشى ان تقدم على الاجابة اذا ما طرحت المدرسة او المدرس سؤالا على التلميذات فى الفصل للاجابة عليه . وخشيتها من ان تخطيء جعلتها تنهيب وتتردد فى ان تقدم أولا تقدم . فى ان تجيب أولا تجيب . وهذا التهييب او التردد فى الاقدام والاجابة أصبح عادة لها . فاذا اقدمت واجابت بالفعل تحول هذه العادة لديها دون ان تسترسل فى الاجابة . وهنا تكون اللقطة التى تحكى عنها ،

ان هذه اللقطة عنوان التهييب النفسى الداخلى ، والتردد بين الاقدام والاحجام
وسط بقية التلميذات فى الفصل .

ولو سألت هذه التلميذة نفسها : السؤال الذى القى عليها وعلى قريناتها
فى الفصل وهى وحدها لأجابت عليه ، دون تعثر أو لقلقة منها . ذلك لأن سبب
التهييب والخشية غير قائم الآن . وهو وجود زميلاتها معها ، ووجود المدرسة
أو المدرس بينهن .

فعادة التردد أو التهييب يجب أن تحل محلها عادة الاقدام والشجاعة .
وهذه العادة الثانية لا تحل محل الأولى الا اذا اقتنعت التلميذة التى تعانى
الآن من اللقلقة : بأن الاجابة على السؤال الذى يطرح فى الفصل كما تحتمل
الصواب تحتمل الخطأ . فالخطأ فى الاجابة ليس عيبا . بل ربما يكون هذا
الخطأ سببا فى كشف مشكلة يجب على المدرسة أو المدرس : أن يتناولها
بوضوح لجميع التلميذات مرة أخرى .

واذا اقتنعت التلميذة السائلة بأن « الكمال » وان كان يجب أن يسعى
اليه الانسان ، لكن قلما يكون كاملا فى كل شىء فان درجة تهييبها ستخف
وبالتالى ستعود الاسترسال شيئا ، فشيئا ، الى أن تزول عنها اللقلقة التى
تعانى منها .

ودور المدرسة أو المدرس فى تشجيعها وازعاف عادة التردد والتهييب
لديها : دور أصيل . ويكاد يكون هو العامل الايجابى الوحيد فى مثل هذه
الحالة .

● والذهاب الى الكنيسة من أجل الشفاء الموهوم : حرام . فالقرآن
يدعو الى الايمان بوحدة الألوهية فى الله سبحانه وتعالى . ومعنى ان الله
واحد : انه لا شريك له فى هذا الوجود : فى الفعل . . . والقدرة . . . والارادة . . .
والخلق . . . الى غير ذلك من الصفات التى تدل على تفريده فى استحقاق
العبادة . فاذا اعتقد الانسان ان هناك عفريت يلبس بدن الانسان . . . وأن هناك
مكان معين يمكن أن يتخلص فيه من هذا العفريت . . . وأن فى هذا المكان
شخصا ما يخلص البدن من العفريت الذى يلبسه : يكون قد اعتقد بشريك لله
جلى قدرته ، له فعل وله قدرة على التخلص من الآلام والمتاعب التى للآخرين .
وهذا دستور القرآن للبشرية جميعها يعبر عنه قول الله تعالى : « قل يا أهل
الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » (١) .

وقد أن الأوان أن يطرح الناس جميع الاعتقادات التي تجعل لغير الله
فعلا في هذا الوجود ٠٠ وأن تتجه إليه وحده في السراء والضراء .

● والحل لمشكلة السائلة أن تكف أولا عن الاعتقاد في خرافة العفاريت
٠٠ وثانيا عن الاعتقاد في الشفاء منها بزيارة أماكن العبادة ، وعلى أيدي
اناس معينين فيها ٠٠ وثالثا أن تعتقد في الله وحده :

« هو الله الذي لا اله الا هو ، عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن
الرحيم . هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
العزیز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ
المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض ، وهو
العزیز الحكيم » (١) .

فاذا ظهرت نفسها من الاعتقاد في الخرافة ، وأمنت بالله وحده ،
فعلينا بعد ذلك أن تحلل الأمر في نفسها . فاذا راجعت مشكلتها فستجدها
تعود الى « التهيب » فلتدفع نفسها الى الأمام معتمدة على الله ، وعلى حسن
مراجعتها لدروسها ومواد الدراسة لديها . ولا تخشى أن تخطيء ، طالما
الانسان يكون منه الصواب والخطأ . واللسان لا يتعثر الا اذا تعثرت النفس
في داخلها . والنفس تتعثر بسبب الخوف وحده . والجرأة أو الشجاعة
هي القنطرة التي يمر بها الانسان فوق الخوف مهما كان عميقا في النفس .

ولتفصح عن مشكلتها بجانب ذلك الى مدرستها أو المدرس في فصلها ،
وترجوه أن يشجعها على الاجابة مهما تعثرت فيها . والله ولى التوفيق ٠٠

٢ - التهديد بالردة عن الاسلام :

يكتب مواطن من احدى القرى : انه سيرتد عن دين الاسلام هو
وزوجته واولاده ، ويبحثون عن دين آخر ان لم تحل مشكلته مع والده .

ومشكلته : ان والده - كما يقول - جبار ولا يستطيع أن يرجعه عن
ظلمه وقسوته الشديدة أحد . فقد تولى منصب « العمدة » في القرية .
وقسى ، واشتد وظلم كثيرا . ويسبب قسوته الشديدة : ضرب احد الأهل

(١) الحشر : ٢٢ - ٢٤

مرة - ضرباً مبرحاً حتى حملته أسرته على الأعناق تسيل الدماء من كل جانب من جسمه ولزم فراشه حتى فارق الحياة • وذلك بسبب أن واجه العمدة بقوله : ان الجلسة التي ترأسها لحل مشاكل القرية كلها ظلم •

وبسبب قسوته وشدته تقدمت إحدى العائلات ، وكذلك العمدة الحالى للقرية بالشكوى ضده الى الجهات المسؤولة • فعزل من الوظيفة واعتقل ابنه الذى يشكو الآن من والده أربع سنوات فى المعتقل • ولم يخرج منه الا فى عام ١٩٦٤ •

ولأن ابنه الذى يشكو هنا لا يطيعه فى تنفيذ ما يأمره به من قتل بعض اناس معينين : غضب عليه ، وطرده من المنزل • ويحرض على قتله كما يدعى : بعض اخوة له غير أشقاء • وهو يعمل بالأجر • ويقوم بالانفاق على اولاده الستة وزوجته •

ويطلب :

اولاً : ان يحصل على حقه من مال أبيه فى الانفاق على نفسه وأسرته •

ثانياً : ان يوقف هذا الأب عن التعدى والتحريض على العدوان ومباشرة الظلم •

ثالثاً : ليس أمامه اذا لم يتم هذا وذاك : الا أن يتخلى عن الاسلام ويعتق ديناً آخر حتى لا يكون من اقارب هذا الموالد ، كما يذكر ! •

● حسبما يبدو من رسالة السائل : انه لا خير للاسلام منه ، ولا من والده ••• والاسلام لا يخسر شيئاً اذا ارتد هذا الولد عن دين الله • ولا يكسب الدين الآخر الذى يعتنقه شيئاً اذا انضم اليه •

فالأب وابنه : كلاهما مصدر ابداء وضرر لنفسيهما ، وللناس الآخرين • وليست لديهما الاهلية لأن يكون كل منهما ذا انسانية فى معاملته •• وفى سلوكه •• وفى استقامته فى تصرفاته •

الأب تورط فى الظلم ، كما يحكى ولده • ولا يستطيع ان يعدل عن الشر ، بعد ان تقدمت به السن ، وبعد ان عزل من وظيفة العمدة • فإى خير يرجى

منه الآن لنفسه وللآخرين ، فضلا عما يرجى منه للاسلام • والولد الذي يجعل ايمانه بالله فى الميزان •• ويهدد المسلمين بالانتقام من الاسلام بالارتداد عنه، اذا لم يتكاتفوا على انقاذه من ظلم ابيه ويعينوه على ان يصل مال الأب اليه بنفق منه على نفسه وعلى أسرته : أى خير ينتظر منه للمسلمين أو للاسلام ، اذا بقى معلنا ايمانه بالاسلام • وظل كما هو فى صف المسلمين ؟

● كثير من الناس لا يعرفون : ان ايمانهم بالاسلام مصدر خير ونفع لهم هم لأن باستقامتهم فى السلوك والمعاملة مع الآخرين يكسبون منهم : الرضا ، والمعونة •• والمودة •• فوق انهم يكسبون فى ذواتهم : الاعتدال ، والاعتماد على الله • كما يتجنبون اقتراف الشرور والمعاصى • فالايمان بالاسلام مصلحة للمؤمنين أنفسهم وليس فيه ما يمتنون به على الله تعالى • ولذا طلب من الرسول عليه السلام أن يجيب الاعرابى الذى جاءه ، يمتن عليه بأن أسلم ، بقوله : « يمتنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم هادقين » (١) •

•• فقد كلف الرسول عليه السلام هنا ، بأن يجيب : بأنه اذا كان هناك منة فى ايمان المؤمن ، من أحد وعلى أحد : فالمنة من الله على المؤمن به ، بسبب ان هداه للايمان •

والسائل هنا ، بمسلكه ، ليس صورة مشرفة للمؤمن ، حتى يكون هناك اسف على خروجه من الاسلام وارتداده الى الكفر • اذ الفرق بين وضعه الحاضر •• والوضع الآخر المرتقب له ، ليس كبيرا •

ولا ينبغي اطلاقا أن يهدد مسلم ما بالخروج من صفوف المسلمين ، مهما وقع فى حرج أو فى أزمة • لأن تهديده بالخروج من صفوف المسلمين : أمانة على أفلاسه فى حل أزمته ، وعلى عدم صلاحيته للتصدى لمشاق الحياة •

وفريضة الصوم يوم أن كلف بها المسلمون : قصد منها أن يتعلموا من الحرمان ومن الامسك عن جميع ما تشتتبه النفس فى أيام رمضان ، كيف يصبرون على المشاق والصعاب التى قد تصادفهم فى حياتهم ، فى غير رمضان ، وفى غير أيام الصحة والرخاء •

● واذا كان التهديد بالخروج من صفوف المسلمين ليس حلا لمشكلة السائل ، فان دعوته الى الايمان الصادق بالله هو الحل الأمثل لما يفترضه من

(١) الحجرات : ١٧

مشكلة تواجهه • فالمشكلة ليست فى اصلاح حال والده ونقله من اتباع الشيطان الى حزب الله • فالوالد يقع - كما يحكى ولده - تحت تأثير عادات جاهلية كثيرة • أهمها الظلم ، والاعتداء ، وتبويت الشر والسوء للآخرين • ولكن المشكلة ان الولد يريد أن ينفق على نفسه وأسرته من مال والده • لأن الأجر الذى يحصل عليه من العمل لا يفى بنفقاته • وليس هناك ضمان لأن يوافق الوالد - طالما العلاقة بينه وبين ابنه على هذا النحو من السوء - على أن يتكفل بسد حاجته فى النفقة •

وهنا يأتى دور الايمان الصادق بالله • فالمؤمن الصادق فى ايمانه بالله يعتمد على ذاته ، ويتوكل على الله • فهما أمران ضروريان فى حياة المؤمن : الاعتماد على الذات • والتوكل على الله • فالمؤمن الذى يعتمد على ذاته يسعى سعياً جدياً للعمل من أجل الرزق •• ويجعل العمل صنواً للعبادة : يفرغ من العمل ليسعى الى العبادة •• ويفرغ من العبادة ليسعى الى العمل : « يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله واثروا البيع » (١) •• « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » (٢) •

وعند مباشرة العمل يتوكل على الله ، ويستعين به فى تيسير أمره عليه • ولذا تقول الآية السابقة بعد قول الله تعالى : « فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » •• تقول : « واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » (٢) • أى اذكروا الله فى عملكم • فيجب أن يؤدى فى كفه وفى نوعه بحيث يستحل الأجر عليه • وعندئذ يتحقق الفلاح والنجاح فى حياة العامل سواء بالنسبة لمعيشته ، أو لتربية أولاده • لأنه ينشئهم على كسب حلال •

والمؤمن بالله الصادق فى ايمانه لا ينظر اذن الى ما فى يد غيره : من مال • ولو كان مال والده • وإنما يركز على عمله هو •• وعلى طاعته لله فيما يعمل •

والسائل اذا اعتمد على نفسه فى العمل وتوكل على الله فى عمله : لا يشغل نفسه بوالده : باصلاحه •• أو ببقائه على انحرافه • لا يسئل الا عن شئ واحد فقط : كيف يرضى ربه فيما يعمل ؟ •• كيف يرضى ربه فيما يعيش هو وأسرته ؟ •• كيف يرضى ربه فيما يربى أولاده ؟ •• وليترك بعد ذلك صلاح والده الى خالقه •• وليترك أخوته غير الأشقاء وزوجة أبيه ، الى المولى جل جلاله • وليجرب السائل هذا الطريق • وهو طريق الاعتماد على

الذات والثوكل على الله • فانه طريق النجاح فى اطمئنان النفس •• وضمان الرزق من الله : « وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها » (١) •• اى اذا دبت وتحركت للسعى والعمل فى سبيل الرزق •

٣ - الموسومة :

اولا : سيدة باحدى المحافظات •• تروى قصة الشك التى تسيطر على العلاقة الزوجية بينها وبين زوجها • فنقول :

انها تزوجت منذ سبع سنوات من رجل محترم ومن أسرة طيبة •• وان هذه الزيجة اثمرت ولدين الآن •• وانه تزوجها تحت تأثير والدته ، صرفا له عن ابنة عمه التى كان يحبها كثيرا • ولشدة تعلقه اول الامر بابنة عمه ارادت ان تمثل عليه دورا ربما يرغب فيها فادعت ان ابن عمها كان يحبها كذلك • ولكن ظهر لزوجها : ان هذا كذب منها •

وعندما دخل بها لم يقتنع انها كانت بكرا • لأنها كما تقول : قطرت نقطتان من الدم فقط • فذهب بها الى طبيبة أخصائية فطمأنته وذكرت له : ان زوجته من النوع الذى لا ينزف وأكدت له بكارتها •

وعندما أنجبت الطفلة الأولى شك فى أنها ابنته ثم رجع عن هذا الشك حتى اذا أنجبت الطفل الثانى عاد فشك فى أنه ابنه • والعلاقة بين الاثنين دائرة بين الشك فترة •• ودفعه فترة أخرى ، حتى مرضت الزوجة من كثرة تفكيرها •• فهي تقع تحت تأثير طيبة قلبه ، وتريد ان تقف بجانبه فى الأزمات • وتسال هل تمر هذه الأزمة ويعود الى الحالة الطبيعية ؟ • كما تؤكد انها متدينة •• وتخشى الله قبل ان تخشى الناس ، وانها لم تعبت فى حياتها اطلاقا كما يعيثن بعض الفتيات ، وبالأخص فى مرحلة المراهقة • انها الآن لم تجد سوى الله تتوجه اليه ليهديه سواء السبيل • وتطلب ارشادها الى الطريق الصحيح •

**

ثانيا : طالب باحد المعاهد : يذكر قصة صديق له • وقد تخلف فى الدراسة فلم ينجح فى الثانوية بعد رسوب ثلاث سنوات فيها •• كما تخلف عن الجماعة التى كانت تواظب على الصلاة واداء شعائر العبادة منذ ثلاث سنوات كذلك • وانقطع عن التدين •

(١) هود : ٦

وقصته بعد ان سجلها من املائه : ان والدته انجبت بنتا فاذا تبرزت غسلتها فى حوض الوضوء او غسل الوجه والميديين ٠٠ او فى ارض الحمام . واذا تبولت لم يكن لها مكان للتبول . وانما كانت تسير فى اى اتجاه . وبولها يصاحبها اينما سارت ، واينما وقفت على الارض ٠٠ على السجاد ٠٠ فى اى موضع . وشك فى ان المنزل الآن نجس فانقطع عن العبادة . وزاد فى امر المشك عنده فاصبح يسمع صوتا يناديه اذا تحرك فى اى مكان فى المسكن : هنا قذارة ٠٠ هنا نجاسة ٠٠ كما اصبغ هو وحده - دون اخوته - الذى يوسوس له الشيطان بالنجاسة بسبب اخته الصغيرة . وينقل صديقه : انه يسأل : كيف يستطيع التغلب على الوسوسة والشيطان ؟ .

● هناك بعض الطبائع البشرية تصدق فى امر ما لمجرد شبهة . ولا تحلل الامر فى ذاته ، او تحاول ان تقف على الدليل المبعد للشك على الأقل .

فزوج المسائلة هنا سارع وصدق ان زوجته لم تكن بكر ، لأنها لم تنزف ليلة الدخلة بها . وكل ما حصل لها : انه قطر منها نقطتان من الدم فقط . وعندئذ شك فى امانتها واحتفاظها بعفتها قبل الدخول بها .

وكذلك طالب الثانوية العامة الذى كان يراقق مجموعة من زملائه فى المواظبة على اداء الصلاة بالمسجد . صدق فى سرعة ، فى نجاسة المسكن الذى يسكنه هو وأهله . لأن أخته الطفلة الصغيرة كانت تتبرز وتبول فى جوانبه ، مما كان يحمل أمه على غسلها فى حوض الوضوء أو الحمام .

والذى يسارع بالتصديق فى امر ما ، بدون دليل واضح لديه : عنده الاستعداد النفسى أيضا لأن يصدق اليوم بنقيض ما كان يصدق فيه بالأمس . والمثل على ذلك زوج السيدة اسائلة أيضا . فانه بعد ان اتهمها بعدم الأمانة رشك فى عفتها قبل الدخول بها : عاد وصدقها فى انها أمينة على عرضه ، بعد ان أعلنت الطبيبة الاخصائية انها دخلت على زوجها وهى بكر .

وكذلك عندما شك فى نزاهتها يوم أن أتت بالطفلة الأولى ، ثم الطفل الثانى ، وادعى أن كليهما من اخصاب رجل آخر . وبعد المراجعة والحوار معه : نفى هذا الاتهام ، وأقر بنسب الطفلين له .

● هناك بين الناس اذن : شكاكون . يتقلبون فى الشك بين الشيء . ونقيضه . أو هناك من يسرع بالتصديق بأمر ما . ثم يسرع بتصديق ضده .

هؤلاء الشكاكون : أو هؤلاء الذين يسارعون فى التصديق : هم ضعفاء الارادة ٠٠ أو من ضعاف الشخصية . هم مهترنون فى حياتهم ، ولا يستطيعون ان يبرموا أمرا ، وان ينفذوا ما أبرموه وارتضوه .

هم مترددون بين أن يفعلوا ٠٠ وأن لا يفعلوا ٠ وهم الى السلبية أقرب منهم الى الايجابية فى حياتهم ٠ هم سطحيون ٠ لا يتعمقون فى الأمر ليقفوا على خصائصه ٠ هم سيئو الظن بالآخرين ٠ ان كانوا أزواجاً فهم سيئو الظن بزوجاتهم ٠ وان كانوا زوجات فهن سيئات الظن بأزواجهن ٠ حتى الأمهات قد يسيئون الظن بأولادهم ٠ والعكس كذلك ٠

ومن سوء ظنهم بالآخرين : يشكون فى سلامة تصرفهم ٠ وفى امانتهم ٠ وفى مودتهم وتعاونهم ٠ ولكنهم لا يلبثون فى شكهم على حال واحدة : اليوم يشكون فى أمر معين ٠ وغدا يشكون فى أمر آخر على الضد منه ٠

● وإذا ترك هؤلاء المتشككون وشأنهم ، فإن أمر التشكك يزداد لديهم ، ويتحول الى ما يسمى « بالموسوسة » فالوسوسة هى غلبة التشكك على الانسان الضعيف فى ارادته ٠ وقد تصبح « مرضاً » ٠ اذا أسلم نفسه لهواجس الهوى وخواطره ٠

و « الموسوس » : انسان ضعيف الارادة ٠ سريع التصديق فى الشيء ، وضده ٠ سيئ الظن بالآخرين ٠ تكثر « السلبية » فى حياته ، بقدر ما تقل الايجابية فيها ٠ عديم الثقة بنفسه وبالأخرين ٠ معذب بكثرة الشكوك ٠ يخاف من غده ، ولا يطمئن اطلاقاً لما يأتى به حتى ينتهى عن آخر دقيقة فيه ٠ ومعذب برفقته وبصحبتة - من يكون رفيقاً أو صاحباً له : فزوجة الموسوس معذبة ٠ وأسرة الموسوس كلها أيضاً معذبة ، حتى أولاده الصغار ٠ ورفقاء الموسوس معذبون ، اذا أصروا على رفقته ٠

وقد ينتهى أمر الموسوس الى عزله نفسه عن الناس ٠ والى ظلام التشاؤم فى الحياة ٠ والى اليأس فالانتحار ٠

● وليس هناك علاج للمتشكك أو الموسوس الا أن يعتمد على الله فى حياته ٠ الا أن يكمل أمره اليه ٠ الا ان يستعين بربه : خالق السموات والأرض ٠ فهو وحده المنقذ له من الموسوسة ، والشك والتشكك ٠ اذ هو الذى يدعو رسوله عليه السلام الى أن يعلن الالتجاء اليه عندما تشكك هواجس النفس :

« قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ٠ مَلِكِ النَّاسِ ٠ إِلَهِ النَّاسِ ٠ مِنْ شَرِّ الْمَوْسُوسِ الْخَنَّاسِ ٠ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٠ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ » (١) ٠٠

(١) سورة الناس ٠

فيستعان بالمولى جل جلاله من شر الومواس : سواء اكان مصدره هوى النفس فى داخلها وهو امر لا يراه الانسان .. او كان مصدره من الناس الاشرار اصحاب الوشاية الذين يحيطون بالضعفاء ويؤثرون عليهم بالقول والحكاية .

ومعنى الاستعانة بالله جل جلاله فى اتقاء شر الوسوسة : ان يعتقد أولا فى قضاء الله وقدره .. وأن ما يقع للانسان فى هذه الحياة هو خير ، اراده الله له .

فاذا اعتقد قل تشاؤمه . وابتدا يتفاعل فى مستقبل حياته . واذ قل التشاؤم ، قل ظلامه على نفسه . واذ قل الظلام امام الانسان انكشف له نور الحياة فلا يرى فيها عندئذ ما يثير عدم الثقة فى نفسه وفى الآخرين . وعندئذ يقل شكه وتشككه . وكلما كثر اتجاهه الى الله فى الصلاة كلما تضاعف شكه فى الحياة أو انعدم .

وزوج السائلة .. وصديق الطالب : مطالب كل منهما بالاستعانة بالله سبحانه على طرد الوسوسة من نفوسهم ، بقراءة العودتين كثيرا . فان كثرة مراجعتهم تطمئن النفس على الاعتماد على الله . وهو نعم المولى ، ونعم النصير .

وعلى السائلة بشأن زوجها .. وعلى السائل بشأن صديقه ان يصبر كل منهما ويتحملا ضعف الثقة الذاتية وفى الآخرين ، التى تمتلك الآن شخص الزوج ، وشخص الصديق . ولو كان لدينا بعض المعالجين النفسيين على اساس من فهم كتاب الله لكان من الرد على هذين السؤالين هو الاتصال بواحد منهما . ولكن من الأسف ان الكثيرين منهم يتبعون « فرويدا » فى طريقة علاجه . وهى ما تسمى : بالتحليل النفسى ، على أساس من العلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى .

٤ - الشك فى وجود الله :

مراهق من احدى المدن يقول :

ان سنه الآن : السادسة عشرة . وهو متدين . وكان يسر كثيرا بقدم المناسبات الدينية كشهر رمضان مثلا .

ولكنه ابتدا منذ مدة لا تزيد عن شهر : يقلق .. ويشك فى وجود الله .. كما ابتدا يبكى كثيرا . ولم يعد يستقبل اية مناسبة دينية بفرح ، كما كان الامر من قبا ، ذلك .

ثم يقول : فاننا أفكر كثيرا فى الأشياء التى كانت توجد من أيام الرسول ، وأحاول أن استدل بها على وجود الله • وأنا أظن أن مصدر هذا كله هو الفراغ التام الذى أعيش فيه • فاننا لا أزال اى عمل • ولكنى متحير • ويسأل :
فما الحل ؟

• ان الشاب يعيش الآن فى مرحلة المراهقة • ومن صفات هذه المرحلة:
أن المراهق غير مستقر على وضع واحد • وانما هو يتردد بين صفات
الطفولة • وهى المرحلة السابقة •• وصفات الرشد الانسانى وهى المرحلة
التالية •

ومعنى انه يتردد بين صفات المرحلتين : أن تكون له صفات هذه المرحلة ،
مرة •• وصفات المرحلة الأخرى ، مرة أخرى • فبينما نجده يبكى لأتفه
الأسباب والبكاء خاصة الطفولة •• اذا بنا نجده ينجذ غيره من أصحاب
الحاجة ويكون صاحب مروءة • ونجدة الغير ، وحسن التصنيع معه من أمارات
الانسان الرشيد •

وميل المراهق للتدخين مثلا • كثيرا ما يكون تقليدا منه للانسان الرشيد
•• وميل المراهقة الى تجميل وجهها كثيرا ما يكون كذلك : تقليدا منها للمرأة
الرشيدة •

• والشباب السائل عندما دخل مرحلة المراهقة ابتدأت نفسه تهتز ••
وابتدا يعيد تقييم سلوكه • لماذا هو متدين ؟ • ولماذا هو يحرم نفسه من
الاختلاط بالشابات ؟ لماذا لا يصادق بعض الفتيات ، كما يفعل الشبان أو
المراهقون الآخرون ؟ انلك حرام ؟ •• ومن حرمه ؟ • أهو الله تعالى ؟ • وأين
هو ؟ • وما هى صفاته ؟ • وهنا يكون الشك فى وجود الله • وكلما ضسفت
عليه فترة المراهقة وتيقظت فيه الغريزة الجنسية كلما استرسل فى الشك •
وربما ينتقل الى الجانب الآخر فينكر الله ، كى يخلى الطريق أمام غريزته
الجنسية • ويحقق شهوته ، دون شعور بالمسئولية نحو غيره ونحو نفسه •

وهذه هى طبيعة الانسان تدفع بالانسان نحو الشك فى الخالق ••
فالانكار له بينما دليل وجوده سبحانه : فى الانسان نفسه : « من أى شىء خلقه •
من نطفة خلقه فقدره • ثم السبيل يسره • ثم أماته فاقبره • ثم اذا شاء
أنشره » (١) • فهو فى موقف الانكار لا يتبصر بقدره الله ، ونعمه عليه • فالله

(١) عبس : ١٨ - ٢٢

أنشأه من نطفة مختلطة من الذكورة والأنوثة ٠٠ وقدره فجعل له السمع ، والبصر ، والفؤاد ، ثم يسر له سبيل السلوك والاعتقاد بهداية الله ، وبذلك كانت له الرسالة ، بجانب ما خلق فيه من عقل وحكمة ٠ ثم قدرة الله كما أنشأته تستطيع أن تميته ، وأن تعيده من الموت الى الحياة فيخرجه من القبر توا الى الحياة كما كان ٠ ومع دلائل القدرة الالهية فى خلق الانسان وتوجيهه وامانته ، واحيائه : فانه قد يكفر بالله ٠

وبينما دليل وجوده جل جلاله أيضا يحيط بالانسان من نعم هى له خاصة : « فلينظر الانسان الى طعامه ٠ انا صبينا الماء صبا ٠ ثم شققنا الأرض شققا ٠ فانبتنا فيها حبا ٠ وعنبا وقضبيا ، وزيتونا وتخلا ٠ وحدائق غلبا ٠ وفاكهة وأبا ٠ متاعا لكم ولأنعامكم » (١) ٠٠ كذلك لم يستخلص الرؤية الواضحة ، عندما كفر بالله وبدعوة الحق ، مما أحاطه الله به من نعم ٠ ولو وضع أمامه الطعام على سبيل المثال الذى يتناوله ونظر فيه لوجد : أنه خلاصة امكانيات عديدة ، ونتيجة لمقدمات يتبع بعضها بعضا ٠ وهى كلها تدل على قدرته سبحانه ٠ طعام الانسان – وكذلك طعام الانعام التى تحيط بالانسان ويحتاجها فى مسكنه ، ومأكله ، ومشربه ، وفى سفره ونقلته – كانت نتيجة لنزول المطر ، ٠٠ وتفاعل الأرض به فى اخراج النبات فى صنوفه المختلفة وأنواعه : من حب ٠٠ الى فاكهة ٠٠ الى حدائق بأشجارها الكثيفة ٠٠ الى مراعى متجددة : فما بين يدي الانسان : من ذاته أولا ٠٠ الى ما يحيط به من نعم كفيل بأن يحمل الانسان على الايمان بالله ٠٠ والايمان بوجوده وبصفات الكمال المطلق له ٠ لأنها هى السبيل الذى يسره الله فى شأن الهداية ٠ ولكن قتل الانسان ما اكفره ٠ يغلب عليه هواه ٠٠ وتغلب عليه شهوته فينسى الله أو يكفر به ودلائل الوجود بين يديه : ان فى ذاته وخلقته ٠٠ وان فى النعم التى خلقت للانسان ويلمسها بالحس فى المحيط الذى يعيش فيه ٠

● والسائل – وهو فى سن المراهقة الآن – لكى يستعيد ايمانه بالله ، ولكى يثبت على الايمان القوى : عليه أن يفتح كتاب الله وقرانه فأيات الخلق ٠٠ وآيات الكون كثيرة ترشده الى وجود الله ٠٠ والى وحدانيته جل جلاله ٠ وما ذكرناه هنا من آيات تقود الانسان فى يسر الى المراد ٠ ومن أجل ذلك تقول السورة بين يدي هذه الآيات : « قتل الانسان ما اكفره » (٢) ٠٠ أى ما أشده كفرا ٠ فهو ينكر الله ٠٠ وينكر رسالته ، ولا يلقى نظرة على ذاته وكيف خلقت ، ٠٠ ولا على البيئة التى يعيش فيها وكيف أعدت لخدمته ٠٠ اذ لا يمكن أن يمر بالطوار التى مر بها فى خلقه ووجوده ٠٠ ولا يمكن أن يعيش فى البيئة التى

(٢) عبس : ١٧

(١) عبس : ٢٤ – ٢٢

يعيش فيها والتي أعدت له : « الا اذا كان هناك مدبر للكون كله وخالق لجميع الموجودات .. واحد وحدة مطلقة فى صفات الكمال .. لابد أن يكون القادر قدرة مطلقة هو الذى خلق الانسان ، كما خلقه .. وهو الذى أوجد له كذلك البيئة والمحيط الذى يعيش فيه الانسان .. هو الله سبحانه .

فالدليل الحسى على وجود الله قائم بين يدي الشباب . ومن ينكره ينكر ما لا ينكر ، ويكفر بما لا يكفر به الانسان الطبيعى .

● وعلى السائل أن يحذر من الوقوع تحت اغراء الهوى والشهوة فى مرحلة المراهقة التى يعيش فيها الآن ، أكثر مما هو واقع . وليستغفر الله ، ويسأله الترفيق . وليطرح ما يجول فى خاطره فانه من وسوسة الشيطان فى داخل نفسه أو فى خارج ذاته .

★ ★ ★

٥ - الزوجة تكون حيث يسكن زوجها :

مشرف زراعى باحدى الجمعيات الزراعية باحدى المحافظات . ويتقاضى راتبا قدره تسعة عشر جنيها مصريا . وتزوج بفتاة نزع أهلها من الريف الى القاهرة ، ولم يتعرف عليها الا عن طريق أخته فى مسكن مجاور لمسكن والديها فى العاصمة ، وأنجب منها ولدا بعد عام من زواجه . ويسكن الآن مع زوجته وولدهما فى مسكن بالبلدة التى يعمل فيها كمشرف زراعى . ويعيش فى نفس المسكن معه والده ووالدته باعتباره انه العائل لهما .

وحدث بعد مرور العام الأول أن وقع خلاف بين زوجته وأسرته . فحضرت والدة الزوجة وبعض أقاربها معها ، وصممت على أن تصحب ابنتها معها الى القاهرة ومعها وليدها وجميع ما تملك من منقولات واشترطت لعودتها الى زوجها : أن يجد لها مسكنا خاصا لا تشاركها فيه أسرته . وبعد أن أوجد السكن الخاص بالبلدة وطلب عودة الزوجة الى معاشرته لم توافق أمها على عودتها الى الريف . ورأت أن يكون السكن بالقاهرة ثم بعد مضي ستين يوما على ترك الزوجة مسكن الزوجية بالبلدة رفعت دعوى نفقة . فعرض الزوج عليها أن يسلم اليها ربع مرتبه شهريا دون حاجة الى الخصومة القضائية .. كما ارسل عدة مرات وسطاء كى تعود اليه ، ولكن بدون جدوى .

وهو يطلب ارشاده الى الحل ، ويرضى به مقما .

٢٠ هذه المشكلة تكاد تتكرر فى مجتمعنا كل يوم ، وغالبا فى كل أسرة ناشئة فى أول عهدنا بالحياة الأسرية .

شاب يتزوج ،

ثم ينجب ولدا أو أكثر بعد فترة قصيرة من الزواج ،

ثم تبدأ الخلافات بين الزوجة وحماها ، أو بينها وأخت الزوج أو أخواته ،

ثم تغضب الزوجة وتترك منزل الزوجية الى مسكن والديها ومعها ولدها أو أولادها ،

ثم تطالب بعدم السكنى مع الحماة أو الأقارب لزوجها ، واستقلالها بمسكن خاص ،

وقد يكون السكن الجديد فى مدينة كبرى كالقاهرة والاسكندرية ، بدلا من القرية ، فى الريف ،

ثم تتجه الى الخصومة فى المحاكم وتغلق مجال المصالحة بين الطرفين .
وكثيرا ما ينتهى الأمر بفشل الزوجية وانهايار الأسرة الجديدة .

(أ) أين المشاركة فى بناء الأسرة الجديدة من قبل الزوج وأهله ، ومن قبل الزوجة وأهلها ؟

(ب) أين تحمل الزوجة وتحمل الزوج فى سبيل المحافظة على الولد الذى أنجباه معا بعيدا عن هموم الحياة الأسرية ؟

(ج) أين أثر تعليم المرأة ؟ أين أثر تمييزها بالثقافة المدرسية والاعلامية اذا كانت لا تستطيع أن تعيش مع زوجها فى مكان غير مكان أسرتها؟ ألم يكن الزواج هو الأمل المنشود لها ؟ وألم تكن الأمومة تمثل هدفا رئيسيا عندها ؟

(د) ما هو مدى تحرر المرأة واستقلالها اذا كانت لا تستطيع أن توائم بين وظيفتها كزوجة ، والمحافظة على علاقتها بأهل الزوج ؟

(هـ) ان المشاركة فى الأسرة هى فى تضيق دائرة مشاكلها ، وفى حل هذه المشاكل ان وقعت .

● ان اهل الزوجة هنا اذ ينقلون اثاث ابنتهم من القرية الى القاهرة . .
واذ يصبحون ابنها معها للاقامة معهم فى مسكنهم هنا . . واذ يصرون على
ايجاد مسكن مستقل فى القاهرة واذ يعجلون بالخصومة القضائية ضد
الزوج ، يسيرون فى طريق « الانفصال » وعدم العودة . . وترك الطفل بعيدا
عن الأب ، او بعيدا عن الأب والأم معا .

ان الانفصال أو الطلاق تقتضيه الضرورة الاجتماعية ، بسبب سوء
المعاشرة وعدم تحمل أى من الزوجين مشقة العلاقة بينهما . فهل وصل الأمر
هنا ، بالخلاف بين الزوجة وحماتها فى أول سنة من سنَى الزواج ، الى المشقة
والعنت فى معاشرة الزوجة لزوجها ؟ أم أن اهل الزوجة قبلوا على مضمض منهم
أن تسكن ابنتهم مؤقتا خارج القاهرة ، على أن تعود الى السكنى بها بعد فترة
قصيرة ؟ وليكن الخلاف – ان لم يكن مفتعلا – بين الزوجة وحماتها سببا كافيا
فى نظرهم فى عودة البنت الى الإقامة لقرب من الأهل بالقاهرة ؟ .

● ان عادة تجمع أفراد الأسرة الواحدة فى مسكن واحد ، أو فى
مساكن بقرب بعضها من بعض ولو على حساب الروابط الاجتماعية . . ولو
أضرت ببعض هؤلاء الأفراد : هى عادة غير حضارية . . هى عادة بدائية .
ولم تزل من الأسف الشديد متغلغلة فى أعماق نفوسنا الى اليوم ، ولا بأس
من أن يكون الحرص على تحقيق هذه العادة : سببا فى الفرقة بين زوجين لم
تدم علاقة الزوجية بينهما أكثر من سنة واحدة ، على نحو ما هو وارد فى
سؤال السائل هنا .

● ان مسئولية المرأة بزواجها تنتقل فورا من محيط أهلها وعائلتها . . الى
محيط الزوجية ، والعلاقة التى تنشأ عن الزواج مستقبلا . والزوجة مطالبة –
ان هى نظرت الى بيت أسرتها الأولى – ان تركز الآن نظرتها فى أسرتها الجديدة
وما يتفرع عنها . وأم الزوج أو حماة الزوجة عضو فى الأسرة الجديدة .
ويجب أن لا تنظر اليها الزوجة من أول الأمر كخصم لها أو كمصدر لمقاعبها فى
صلتها بزواجها . بل يجب أن تنظر اليها كام تسلم بالتدريج ابنها الذى حملت
فيه ، ووضعته ، وسهرت معه الليالى ، وتحملت فى تنشئته المتاعب والصعاب
الكثيرة . . لامرأة أجنبية عنها ، هى زوجته الآن . . فعلى الزوجة أن تعيش
فى نفس المشاعر والاحساسات التى لدى الأم ، عند معاملتها . . يجب أن لا
تنفعل فى موقف معها . . يجب أن لا تقاطعها لسبب من الأسباب . . يجب أن
تعرض عليها خدماتها . . يجب أن يطول صبرها معها . وبذلك تكسبها فى
جانبا كما تكسب زوجها نفسيا وماديا .

● والحل الذى نراه : أن لا تتدخل أسرة الزوجة فى العلاقة الزوجية مع ابنتها .• الى الحد الذى تدخلت فيه أسرة الزوجة للسائل ، وأن تترك هذه العلاقة تمر ببعض الصعوبات التى تعترضها . فعن طريق هذه الصعوبات تتضح الركائز التى تقوم عليها العلاقة مستقبلا .• وهى عندئذ أقوى مما كانت .• اللهم الا اذا كانت الزوجية التى تمت بين السائل هنا وزوجته من النوع الذى استهدف هدفا جانبيا بعيدا عن خصائص الزوجة الصالحة والزواج الصالح ، وهى خصائص التدين والاستقامة . فالزواج لجمال المرأة أو لشرفها ، أو لمالها ، أو لجمال الرجل أو لشرفه ، أو لماله ، ينتهى غالبا بالفشل .•

٦ - عبادة الله .• ونعم الحياة الدنيا :

مواطن من احدى القرى يقص فى رسالة له :

انه شاب ناشئ فى عبادة الله وطاعته .• متمسك بسنة رسولنا الكريم .• وفوجيء بأنه يحس فى نفسه كراهية الدنيا .• ويتجه بتفكيره الى الموت والحياة الآخرة .• ولا يريد من الدنيا أى متعة فيها .•

ويذكر أن هذا الاحساس تملكه منذ شهر تقريبا .• ولم يطلب توضيحا لشيء .• أو رأيا فى هذا المتغير الفجائى .•

● هل هذا الشاب عكف فترة من الزمن قبل ظهور هذا الاحساس عنده - على قراءة بعض الكتب التى تبغض الانسان فى الحياة الدنيا ، وتدعو الناس الى الانصراف عنها ؟ وهى كتب الغلاة من المتصوفة .•

● هل هذا الاحساس الأخير الذى فوجيء به هذا الشاب فى حياته من طلب الموت والاسراع الى الحياة الآخروية يعود الى موجة نفسية عنده من التشاؤم ، فكره الاحياء معه فى المجتمع وتطلع الى الأموات فى قبورهم وهى مصيرهم فى الآخرة ؟

● هذا الشاب قطعاً لم يقف على رسالة الاسلام بشأن الانسان ، كما تحكيها آيات القرآن الكريم : إذ أن هناك ثلاث مراحل فى حياة الانسان ، وثلاثة مواقف من الانسان نفسه تجاه المتع المادية ، تصورها رسالة الله فى القرآن :

أولا : هناك حياة الجنة التي عاش فيها آدم وحواء ، فترة من الزمن قبل خروجهما منها ، عقابا لهما على معصيتهما .

وثانيا : هناك الحياة الدنيا التي انتقل اليها آدم وحواء ، ثم نشأ فيها بنو آدم وحواء ، ويعيشون فيها لفترة من الزمن قبل القبر وقبل البعث منه الى الحياة الآخرة .

وثالثا : هناك الحياة الآخرة . وفيها الجنة التي أعدت للمؤمنين ..
والنار التي تفتح أبوابها للكافرين ، وتقول : هل من مزيد ؟ .

وفى هذه المراحل الثلاث ، أو فى هذه الأنواع الثلاثة من حياة الانسان لم يحرم الاسلام على الانسان اطلاقا : الاستمتاع بمتع الجنة على عهد آدم فيها ، ولا بمتع الحياة الدنيا التي يعيش فيها الآن . . . ولا بمتع الحياة الآخروية التي وعد بها المنقون . وهى كلها متع مادية . ولم يطلب منه الا أمرا واحدا عندما كان آدم وحواء بالجنة قبل وسوسة ابليس لهما وهو : أن يمتنعا عن الاقتراب من ثمار شجرة معينة . وذلك فى قول الله تعالى : « **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين** » (١) .

وكان الأمر بالامتناع عن الاقتراب من الشجرة المعينة : بصور طاعة آدم وحواء لأمر ربهما بينما الاكل من ثمارها كان يمثل عصيانهما لأمر الله جل جلاله . فأدم وحواء وضعا هنا فى الجنة موضع التجربة والاختبار ، وترك لهما استقلالهما بالعقل : هل العقل الآن الذى تميز به الانسان عن الملك سيضمن لهما البقاء فى طاعة الله باتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ؟ أم أنه سيعجز عن مقاومة الشهوة والهوى التى تدفع الغريزة عن طريقهما . وقد عجز فعلا عن أن يضمن لهما الصراط السوى ، فاتجها الى الله طالبين المغفرة بعد خطيئتهما ، وداعين اياه : . . . « **قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** » (٢) وكان جزاء الله لهما هو أن أخرجهما من الجنة مع ابليس ، للاقامة على الأرض حتى يحل وقت البعث من القبور : « **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو** (فالانسان ممثلا فى آدم وحواء عدو للشيطان . . . والشيطان ممثلا فى ابليس عدو للانسان) ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع الى حين . **قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون** » (٣) .

(٢) الأعراف : ٢٣ .

(١) الأعراف : ١٩

(٣) الأعراف : ٢٤ ، ٢٥ .

وطالما قد عجز العقل البشرى عن أن يضمن للانسان فى شخص آدم وحواء . دوام الطاعة لله : تفضل على الانسان برسالة الرسل الى الاجيال المتعاقبة من البشر من اولاد آدم وحواء : « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سواكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ، ذلك من آيات الله لعلمهم ينكرون » (١) . واللباس الذى أنزله الله سترا وغطاء لنقص الانسان وعجزه هو لباس الرسالة الالهية وهدايتها .

● **والدنيا** وهى المرحلة الثانية فى حياة الانسان ، خلقت ولها متعها المادية وزينتها ، ولها بريقها وأغراؤها للانسان : « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب » (٢) . وهى خلقت على هذا النحو لتكون دار الاختبار والابتلاء لطاعة الانسان لله ، طبقا لما جاء فى رسالة الله من أوامر ونواهى .

وأوامر الرسالة الالهية ونواهيها منذ بداية الرسائل حتى القرآن الكريم لا تحرم على الانسان فى الحياة الدنيا : الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية . ولذا جاء فيها استنكار من ينكر حل الاستمتاع بها . . . استنكار تحريم من يحرمها . . . جاء فى قول القرآن الكريم :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا (أى حل لهم) خالصة يوم القيامة (أى وحلها لهم فى الآخرة قاصر عليهم وحدهم) ، كذلك نفصل الآيات لقسوه يعلمون » (٣) .

والاستمتاع بالمتع المادية من زينة الحياة الدنيا وبطيباتها من الرزق : أمر مباح . وجاء تأكيد اباحته بطلب الاستمتاع بها فى قول الله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » (٤) . فتلفت نظر الناس اليها للاستمتاع بها .

ولكن بجانب اباحة الاستمتاع بمتع الحياة الدنيوية المادية تطلب عدم التجاوز فى الاستمتاع بها . . . تطلب عدم الاسراف فيها ، فتذكر الآية بعد

(١) الأعراف : ٢٦ .

(٢) آل عمران : ١٤ .

(٣) الأعراف : ٣٢ .

(٤) الأعراف : ٣١ .

الإباحة قوله تعالى : « ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين » (١) ٠٠ وتفيد الاستمتاع بعدم الاسراف ، حرصا على مصلحة الانسان فى نفسه وفى علاقته بالآخرين فى مجتمعه ٠

وهكذا : الهروب من الدنيا ليس مطلوبيا فى رسالة القرآن ٠٠ وتحريم الاستمتاع بمتعها ليس واردا كذلك فيها ٠ بل مع حل الاستمتاع بها : السعى فى سبيل الرزق ٠ وذلك بتحصيل هذه المتع : « فاذا قضيت الصلاة (بالوقوف بين يدي الله جل جلاله) فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » (٢) ٠٠

وتكليف القرآن للانسان اذن فى عدم الاسراف فى الاستمتاع بها وليس فى عدم تناولها والفرار منها ٠

● والآخرة وهى المرحلة الأخيرة والباقية فى حياة الانسان ، فيها نعيم الجنة ٠٠ وفيها عذاب النار ٠ وتصف بعض آيات القرآن الكريم نعيم الجنة فى الآخرة فى قوله جل جلاله :

« ان المتقين فى جنات ونعيم ٠ فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم ٠ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ٠ متكئين على سرر مصفوفة ، وزوجناهم بحور عين ٠ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما اتناهم من عملهم من شيء ، كل امرئ بما كسب رهين ٠ وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ٠ يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ٠ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون » (٣) ٠

● والاستمتاع بالمتع المادية اذ قيد على عهد آدم فى الجنة بعدم الاقتراب من شجرة معينة ٠٠ وقيد فى الدنيا بعدم الاسراف فيه ، فانه فى نعيم الآخرة مطلق من كل قيد ٠ لأن الاختبار فى طاعة الله قد تم ٠ وعلى اية حال فالحديث عن الفرار من الدنيا ، والتشاؤم فيها ، وطلب الموت واللاحق بسرعة الى من فى القبور : نزعة غير اسلامية ٠

(٢) الجمعة : ١٠

(١) الأعراف : ٣١

(٣) الطور : ١٧ - ٢٤ ٠

ومن يعبد الله يجب ان يراجع كتابه ليعرف منهج السلوك فى حياة الانسان . فالانسان كما يصلى ويصوم ويزكى هو يأكل ويشرب ويتزوج النساء ، يسعى فى سبيل الرزق وتحصيل المال .

حياة المسلم حياة ايجابية : يواجه المشاكل والأزمات بالصبر والايامن ولا يفر منها . ولذا من ينهى حياته هربا من المواجهة للتحديات لا يكون انهاء حياته معبرا عن بقية ايمان بالله فى نفسه . من ينتحر فقد يئس من رحمة الله .

● والمسائل عليه أن يستعين بقراءة المعوذتين . فان ما يلم به الآن وسوسة من وساوس الشيطان . يجب عليه أن يتوكل على الله فى كل ما يفعل ، وأن يؤمل فى الله خيرا دائما : اليوم . . وغدا .

٧ - اجر كامل . . وعمل أقل فى الزمن :

مواطن من احدى القرى يعرض :

انه حاصل على دبلوم الصنائع الثانوية ، ومعين فى احدى الوزارات وموزع على عملية مياه بالاشتراك مع اربعة آخرين . ومجموعهم خمسة وزعوا على العمل فى يومين : ثلاثة فى يوم . . واثنان فى يوم آخر . وهو ضمن الثلاثة . وعملية المياه تدور مرتين : احدهما فى الصباح والاخرى فى المساء .

وقد التحق بكلية الهندسة فى محافظته ، - بالاضافة الى العمل الذى يباشره - بعد ان حصل على الثانوية العامة بجانب دبلوم الصنائع الثانوية . وزميلاه فى عملية المياه يعرفان عنه انه يدرس فى كلية الهندسة بالصف الثانى ، كما يعرفان مسبقا ان كلية الهندسة من الكليات التى ليس بها انتساب . فأرادا ان يوفرا له وقت الصباح للكلية : بأن يقوموا معا فى هذه الفترة الصباحية بعملية المياه المعينين من أجلها . . بينما يقوم هو وحده بالعمل فى الفترة المسائية ابتداء من الساعة الرابعة مساء . وهكذا يتعاون الثلاثة بعضهم بعضا بالاتفاق فيما بينهم على أداء واجب العمل الرسمى طوال الوقت المحدد فى الصباح والمساء . كما يحرصون على عدم قطع المياه ، وعلى استمرارها بكفاءة تامة .

ويسأل الآن :

هل الأجر الذى يحصل عليه من مباشرته عملية المياه حرام أم حلال ؟
أى هل هو ملتزم بالعمل طوال اليوم فيجلس مع زميليه من الصباح الى المساء
أم أن اتفاقهم هذا على توزيع العمل بينهم على النحو المشار اليه يبرر أجره
عن العمل مع انه يقضى فيه الوقت منذ الساعة الرابعة بعد الظهر ، وليس كل
الوقت منذ الصباح ؟ .

● هذا الطالب والموظف يريد أن يحاسب نفسه أمام الله أولاً ، وأمام
ضميره ثانياً ، لأن ساعات العمل التى يؤديها فى مباشرة عملية المياه التى
يؤجر عليها : أقل فيما يبدو عن الساعات التى تطلب رسمياً منه ومن زملائه .
فإذا كانت مدة العمل الرسمى فى اليوم هى ثمانى ساعات ، فهو يباشر عمله
لست ساعات أو لخمس ساعات ، على ان يقوموا زميلاه نيابة عنه حسب
الاتفاق فيما بينهم بمباشرة العمل ثلاث ساعات أو ساعتين . وهى المدة التى
يضطر ان يقضيها فى كلية الهندسة للدراسة العملية والعلمية .

هذا الموظف الطالب يجمع بين أداء عمل متقنا حتماً فى ادارة الاسكان
بمحافظةه . وبين الاستزادة فى الدراسة والبحث فى مواد كلية الهندسة .
ومن شأن هذه الدراسة الاضافية أن تعطيه فرصة أوسع لزيادة الاتقان فيما
يباشره من عمل فى مرفق المياه بالاسكان . فاذا قل وقت العمل عن المطلوب
رسمياً فقد استفاد العمل ذاته من حرص هذا الموظف الطالب على أدائه فى
اتقان . وامانته فى العمل خير ما يقدمه لوظيفته . وهذه الامانة جزء من
خلقه العام . فالذى يسأل مثل سؤاله هنا يعى فى يقظة تامة ما يجب عليه
تحوربه ونحو الآخرين معه فى العمل والمجتمع ، ونحو العمل نفسه .

والموظف الأمين الكفاء لا يقاس عمله بالكم وعدد الساعات التى يقضيها
فى الجلوس مع زملائه . وانما يقاس بالتنوع التى يباشر بها العمل .
يقاس بمدى امانته وصبره ، وكفاءته ، ودقته . وهذه الصفات تجعل من
صاحب العمل - وهو هنا المصلحة الحكومية - رب عمل ناجح : فعمله يؤدي
فى نجاح . . . وآلات عمله مأمونة التلف والخسارة .

ولو أن ادارة المرفق باركت التعاون بين الزملاء الثلاثة وأقرت الاتفاق
بينهم على توزيع العمل ، حتى تتاح فرصة الدراسة بكلية الهندسة لهذا
الموظف الطالب ، فى غير غفلة من جهة الرقابة الرسمية لأحسن صنعا
للثلاثة من الزملاء والآخرين عداهم ولشجعت صاحب الامانة والخلق
الكريم على الاستمرار فى امانته عندما يؤدي وظيفته .

ولكن ما تسميه الأجهزة الحكومية ، وكذلك القطاع العام ، « بالروتين »
•• قد يحول دون تمكين رئيس من الرؤساء : أن يتخذ مثل هذا الموقف في
مثل هذه القضية •

● أننا لا نوازن في الجواب على سؤال الطالب هنا بين موظف يحرص
فقط على أداء ساعات العمل الرسمي ، دون أن يحرص على نوعية الانتاج ،
وصيانة ما أوّتمن عليه من مال عام ممثّل في مصنع أو في مرفق من المرافق
العامة •• وبين موظف آخر يحرص على نوعية الانتاج والمحافظة على
ما ائتمنته المصلحة عليه ، على أن ظروفه قد تكرهه على قبول عرض زميل
له بمباشرة العمل نيابة عنه لمدة ساعة أو ساعتين ، الى أجل معين • وبذلك
ينتقص من الوقت الرسمي للعمل الموكل اليه : ساعة أو ساعتين كل يوم •

كل من الموظفين يأخذ أجرا واحدا • هذا يحافظ على مدة العمل وليس
على نوعه •• وذلك على نوعه وليس على مدته •• انا لا نوازن بين هذا من
الموظفين • لأن نتيجة الموازنة هي أن صاحب النوع في أداء العمل أفضل
قطعا من صاحب الأداء لساعات العمل دون كفه فضلا عن نوعه •

● ولكن الجواب يكمن في أن « التعاون » بين هؤلاء الثلاثة معنى
متبادل • وهو معنى انساني لا يقاس بوقت أو بأجر • وهو يرتبط بظروف
وأوضاع قد تجعل اليوم صاحب الحاجة بينهم ، على استعداد في غد أن يرد
المعروف أو الجميل لمن أسداه اليه بالأمس • قد تأتي العطلة الصيفية ويكون
هناك وقت لهذا الطالب الموظف يمكنه ان يخدم به زميله ليوفر لهما حاجتهما
الى الزمن ، دون أن يسئ الى المصلحة العامة وهي أداء العمل في اتقان
وفي مدة العمل الرسمي الخاص به •

● وهكذا : الأجر الذي يأخذه الموظف الطالب على عمله في مرفق
المياه في ادارة الاسكان - المشار اليها - هو أجر حلال له • لأن المصلحة لم
ينلها ضرر اطلاقا بتخلفه ساعة أو ساعتين فحقها مؤدى عن طريق التعاون بينه
وبين زميله والتعاون صوره عديدة وبالأخص في القرى • ف « النقاط » التي
تعطى في اليوم التالي لزفة العريس في الصباحية •• والمشاركة التي تقدم من
الجيران في أوقات الأكل للضيوف القادمين للعزاء : من صور هذا التعاون •

زميلا الطالب الموظف يقدمان خدمة له لتمكينه من الدراسة بعض ساعات
النهار وهما متعاونان معه • والخدمة التي تقدم منهما : استمرار العمل في
عملية المياه ، في الاوقات التي كلف بها الثلاثة كمجموعة عمل • والزميلان

لا يأخذان اجرا عن الساعتين الاضافيتين لعملهما الرسمي . وكانتهما وهيا
اجرهما لزميلهما الثالث . وهو الطالب الموظف . فهو حلال . والله وحده هو
الذى يجزيهما خير الجزاء . . وهو وحده الذى يساعد هذا المؤمن الأمين على
أن يحقق هدفه ويلهمه الصواب دائما .

٨ - الصلاة التى لا تنهى عن الفحشاء والمنكر :

يقول مواطن لم يذكر عنوانا :

يبلغ السادسة عشرة سنة ، وخمسة اشهر . اى انه فى سن المراهقة .
وانه يصلى ، ويصوم رمضان ، ويقرأ القرآن ، ولا يكذب . ولكن يعيبه انه
يباشر جريمة الزنا ، رغم انه يعرف عقوبتها . ومع ذلك لا يستطيع منع
نفسه من مباشرة هذه الجريمة .

ويسال : ماذا يفعل حتى يكون فى رضاء الله وطاعته بالاستقامة فى
السلوك ؟

● هذا السائل يتعجب من أنه يؤدي فروض العبادات من صلاة وصوم ،
ويقرأ القرآن ، ومع ذلك يباشر الفاحشة ! ولكن ينبغى ان يكون عجبه اذا
كانت تأديته للعبادة صادرة من قلب يعمر بجلال المولى سبحانه وتعالى ،
وبخشوع يمنع مفاتن الدنيا من أن تغزرو نفسه الى حد الاستغراق .

انه فى مرحلة المراهقة التى تسيطر فيها الغريزة الجنسية على غرائز
الانسان . وهذه الغريزة لها قوتها وفعاليتها . ومن جانب آخر أداءه للعبادة
هو أداء بحكم العادة . فهو يؤدي الصلاة لأنه تعود ان يؤديها . ويصوم
رمضان فى أسرته لأنه تعود ان يصومه بينها . ويقرأ القرآن لأنه تعود ان
يقرأ كذا جزء . . أو كذا سورة ، دون أن يتأثر نفسيا أو روحيا بمعنى
ما يقرأه . فاتجاهه لله بالعبادة وبقراءة القرآن منزلة عن التحكم فى الغريزة
فى المرحلة القلقة من مراحل حياته . وبذلك يمكن أن يؤدي عادة الصوم ،
والصلاة ، وقراءة القرآن . . كما يباشر الفاحشة والمنكر .

● انه لكى يكون الانسان عابدا لله يجب ان يفكر فى الله . والتفكير
فى الله يستلزم أن يفضى الفكر فيه : بصره عن أن يقع على محرم ، فضلا عن
تركيز النظر فيما تحرم رؤيته . فكيف بمباشرة الفاحشة ، وكشف السر عما

لا يباح كشفه الا بعهد وميثاق مع الله . والله اذ يقول لرسوله الكريم : « اقل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون » (١) . . . فيأمره بأقامة الصلاة . . . ثم يؤكد له : أن الصلاة تبعد المصلى عن الفاحشة ، وهى الزنا ، وعن المنكر وهو ما يستقبحه الناس مما عداه . . . فيأمره ويؤكد له وهو على علم بما يأمر وبما يؤكد . . . وصادق فيما يأمر ويؤكد ، من أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فاذا اقام الصلاة ، وادأها فى أوقاتها من يعلن إيمانه بالله ، ثم وجد انه لم ينته عن الفحشاء بأدائه الصلاة ، بل هو مستمر فى مباشرتها فليعلم ان الخطأ ليس فى ربط تجنب الفاحشة والزنا بأداء الصلاة . وانما بنوع الصلاة التى تؤدى . فالسائل هنا عندما يؤدى الصلاة يؤديها ركوعا وسجودا . . . يؤديها شكلا ومظهرا . . . ولكن لا يؤديها قربى الى الله فيستحضر فيها جلال المولى فى النية ، وفى القراءة ، وفى الركوع وفى السجود . . . ومن ثم تتكون لديه الخشية من الله . وعن وجود الخشية من الله فى نفس المصلى يبتعد عن الزنا والفاحشة والمنكر ، بقوة الإرادة التى تحمله على عدم الانحراف فى السلوك .

الصلاة هى الحصن الذى يحتوى فيه الانسان عند مجاهدة النفس . ومجاهدة النفس : الوقوف فى وجه شهواتها واهوائها . . . هى الوقوف فى الصراع الداخلى فى النفس ضد هذه الشهوات والاهواء . اذ النفس البشرية من خصائصها : انها إمارة بالسوء تحمل على مسلك السوء ، واقتراف المعاصى ، والقواحش ، والمنكرات ، وعلى صاحب هذه النفس للأمارة بالسوء أن يلجأ الى هداية الله . . . يلجأ الى عبادته ، ويستمد من هذه العبادة العون فى الصراع النفسى ضد الشهوات والاهواء .

كانت الصلاة عبادة من العبادات . لأن استحضار جلال المولى فيها يحمى المصلى من الوقوع تحت أغراء الشيطان . . . والصيام عبادة من العبادات . لأن أخذ الصائم نفسه بالحرمان من الشهوات طوال فترة الصيام تدريب له على تحمل المشقة والوقوف فى وجه الصعاب . . . وما ابتعاد الانسان عن فاحشة الزنا الا حرمان من شهوة قد يشق الابتعاد عنها .

● وما يفعله الصائل هنا - وما يفعله كل من يقع فى مرحلة المراهقة تحت تأثير الغريزة الجنسية ، فيبأشر الزنا ، أو يبأشر الاستمئاء - أن يدخل مجاهدة النفس . وهى محاولة رد النفس اذا حملته على السوء وارتكاب الفاحشة ، أو كادت تقع تحت الاغراء والمفاتن التى تحيط به .

مجاهدة النفس ان يلتزم بتعاليم الاسلام أولا ، فيما يتعلق بالمرأة ٠٠ ان يتعد عن الاختلاط بها ٠٠ وان يفض النظر ، فضلا عن ان يرسل نظرات فاحصة عندما تمر به او عليه ٠٠ فضلا عن ان يداعبها بكلمة او حركة .

مجاهدة النفس : ان يحول المجاهد بقوة ارادته وبين ما تشتهيته نفسه اذا كان ما تشتهيته يمثل معصية لما امر به الله او نهى عنه . كما يجاهد الصائم ما تحاول ان تحمله نفسه عليه من الاستمتاع بالأكل والشرب ٠٠ وغيرهما وقت الصوم .

مجاهدة النفس تدريب ٠٠ يصير الى عادة . وهى عادة التحكم فى شهوات النفس واهوائها . والتدريب فى بداية امره شاق . ولكن بعد فترة يصير عادة ٠٠ والعادة لا تحتاج الى شعور فى أداء وظيفتها . بل وظيفتها تؤدي على نحو الى . ولكن لكى يكون للانسان ثواب المجاهدة عند الله يجب ان يكون المجاهد على ذكر بما يمنع نفسه من مباشرته ٠٠ يجب ان يكون يقظا دائما ٠٠ وعلى نية وقصد فى مجاهدته ، مستمدا العون من الله سبحانه وحده .

٩ - المتطرف فى فهم الدين :

أخوان شقيقان يسألان عن وضع قائم لهما ، ويريد شقيقهما الأكبر ان يدخل كلا منهما على ترك وضعه الحالى .

الشقيق الأكبر مهاجر الى احدى الدول العربية ، ويحمل بكالوريوس الزراعة من احدى الجامعات عام ١٩٧٧ ويعمل مدرسا فى مدرسة ابتدائية هناك .

والثانيق الأوسط يحمل دبلوم المصنّاع سنة ١٩٧٨ ، ويدرس فى كلية لم يحدد نوعها .

والثانيق الأصغر ، يدرس بالصف الأول فى كلية التجارة باحدى الجامعات .

الشقيق الأكبر ملتقى . ونصح زوجته بالكف عن العمل . وهى حاصلة على بكالوريوس علوم ، قسم الرياضة ، من جامعة القاهرة . وتركت العمل تحقيقا لنصيحة .

وينصح الآن شقيقه : الأوسط والأصغر : بترك الدراسة الجامعية •
ينصح الأصغر بترك الدراسة في الصف الأول بكلية التجارة • لأن التعلم
فيها ، والعمل بعد التخرج منها حرام •

وكل من الشقيقين يسأل : هل يستجيب كل منهما لرأى أخيهما الأكبر ،
ويترك الدراسة في الكلية للحرمة التي يدعيها ؟

● الشقيق الأكبر ينصح زوجته بالكف عن العمل خارج المنزل ، لأنه
يرى فيه اختلاطاً بغير المحارم • أو لأنه يرى أنها لا تستطيع أداء واجب
الأمومة وواجب الزوجية ، مع أداء العمل الخارجى فى الوقت نفسه •
والاختلاط بغير المحارم حرام • وأداء واجب الأمومة وواجب الزوجية مقدم
على أداء العمل الخارجى البعيد عن الاختلاط • فالزوج فى جانب الحق هنا •
وعمل الزوجة فى الخارج شأن من شئون الزوجين وحدهما • هما اللذان
يفصلان فيه •

وأما نصحه للشقيق الأصغر فى الصف الأول فى كلية التجارة • ،
بترك الدراسة فى الكلية ، فربما لأنه يتصور أن فائدة الربوية تدرس فى الكلية
من جانب • وان المتخرجين فيها يمارسون أعمال الحساب فى البنوك التى
تقرض بالربا • والدراسة فى كلية التجارة اذن • والعمل بعد التخرج فيها
يساعد على رواج الربا أو على الأقل على وجوده فى المجتمع المسلم •

لم ينقل الشقيق الأصغر شيئاً من هذا التصور عن شقيقه الأكبر الملتحى •
وكل ما يرويه فى رسالته عنه : انه يحرم التعليم فى كلية
التجارة • وليس هناك تصور لتحريم التعليم فى هذه الكلية • وتحريم عمل
المتخرج فيها بعد التخرج الاصلة الكلية برأس المال ومايتعلق بتنميته وادارته •

ورأس المال الحرقائم على الفائدة الربوية على القروض التى تمنحها
البنوك للمشروعات : الصناعية ، والتجارية ، والزراعية •

● فهل الأخ الأكبر يقيس مثلاً تعلم الطالب أساليب المحاسبة وادارة
الاعمال فى كلية التجارة • ثم مزاولة العمل التجارى ، والمالى فى البنوك
والشركات : على الساقى الذى يقدم الخمر لشاربها ؟ وساقى الخمر وشاربها
كلاهما ملعون عند الله !

ولكن هناك فرق بين الوضعين • وهو أن ساقى الخمر مشترك فى مباشرة
جريمتهما وهى تناولها • والمحاسب لا دخل له فى جريمة الربا اذا قام بالأعمال

الحسابية لبنك بالربا مثلا • فجريمة الربا تقع من صاحب المال المقرض بالفائدة المحددة لصاحب حاجة الى القرض • فهي تقع وان لم يساعد على ضبطها بالكتابة والحساب احد غير المقرض ذاته • جريمة الربا جريمة استغلال حاجة الغير الى القرض • ولا دخل لمن يتعلم الحساب او يباشر المحاسبة في هذا الاستغلال •

فمواد الدراسة في كلية التجارة تعين المتخرج فيها على ادارة الأعمال ، والقيام بالمحاسبة في البنوك والشركات والاعمال الخاصة • وليس من الضروري ان يباشر كل متخرج رصد الفائدة الربوية في محاسبة ما • والعامل الرئيسى في انقاص المعاملات الربوية هو ايمان اصحاب رؤوس الاموال باخراج زكاة المال •• ثم بالابتعاد تماما عن استغلال الضعفاء واصحاب الحاجة • فاذا نمت روح التعاطف بين الناس ضعف روح الاستغلال ، وبالتالي ضعف التعامل بالفائدة الربوية •

ولو فرض ان كليات التجارة اغلقت جميعها لم يكن من نتيجة اغلاقها وقف التعامل بالربا : وانما اولى النتائج لذلك خسارة كبيرة في ضبط الاعمال التجارية والمالية والمحاصيل الزراعية •

ومباشرة ضبط الفائدة الربوية في اعمال البنوك والمصارف والاعمال الخاصة : لا يمكن أن ندعى : انها حرام • لانها أولا لا تقدم ولا تؤخر في اضعاف روح الاستغلال عند المقرضين بالفائدة • وقيام البنوك الاسلامية في الوقت الحاضر لا يعود الى قلة المقلين من المتخرجين في كليات التجارة على مباشرة المحاسبة في ارباح القروض في البنوك • بل بالاحرى يعود الى قوة الروح الاسلامية التي راجت بين الاقتصاديين واصحاب الاموال من الافراد • وهى قيام « اقتصاد » اسلامى على أساس من تحريم الفائدة في الاموال المتداولة عن طريق القروض ، ومن تشجيع لروح « المشاركة » فى المشروعات الصناعية والتجارية ، والعقارية •• وغير ذلك من قرص التنمية العديدة •

مطلوب من المسلم أن يعرف • واكثر سور القرآن الكريم من الوحى المكى الذى يعرض « للمادية » •• او « الجاهلية » •• ومظاهرها وآثارها فى تخريب القيم الانسانية •• وكما يقال : معرفة الكفر ليست بكفر ••

والشقيق الأكبر الملحق ينبغى له أن يراجع الأمر مرة ثانية •• وسيتضح له : أن الدراسة فى كلية التجارة ليست حراما •• واذا كان ينفق من مرتبه على شقيقه فى هذه الكلية فله جزاء عليه من الله •• لأنه لا يخرج عن معنى « البر » بأشقائه ، فى التمكن من الدراسة فى هذه الكلية •

★ ★ ★

١٠ - سوء معاملة الابن لأمه وأخواته :

سيدة باحدى المحافظات تذكر قصتها الآتية فى حزن و ألم بسبب موقف ابنها الأكبر منها ومن أخواته الصغار بعد وفاة والدهم . . وتطلب توجيه النصح اليه وارشاده الى خير المعاملة :

اما قصتها فتتلخص فى أن زوجها ترك لها عشرة من الأولاد . . وفدائين بالإيجار . بعد مرض لازمه اربع سنوات . وتعتقد أنها قامت بواجبه اثناء المرض . كما قامت بما ينبغى نحو الأولاد : فى معيشتهم ، وفى تعليم بعضهم، حسب الإمكانيات المتاحة لها . وعدد الأولاد عشرة .

ولكن الامر الذى يشق عليها ويصعب مسالك الحياة فى وجهها هو ابنها الأكبر فى قسوته عليها وعلى أخواته . . وفى عدم احساسه بالمسئولية فضلا عن أن يتحمل قسطا منها ، وفى هذه الفترة بالذات التى تكدر فيها أمه فى غير حد دقًا لحياته وحياة أخواته معه . وهو طالب الآن بالزهر . وتتمنى أن يكون عطفًا وصاحب حنان عليها وعلى الأولاد حتى يسهل الحياة عليهم على الأقل من الموجهة النفسية .

وأما رجاؤها فهو أن نقولى نصحه وتوجيهه نحو ما ينبغى عليه ، وبالأخص فى هذه المرحلة الشاقة التى تمر بها والدته .

● ان هذا الطالب يعيش فى جو كان ينبغى أن ينمى عنده الشعور بالمسئولية نحو أمه ، ونحو أخواته . وان يزيد فى ترابطه وتعاطفه معهم :

فانه قد جعل أسرته فى بسطة من الأولاد . . وفى ضيق من الرزق . كما هيا له ان يكون طالبا باحدى كليات الأزهر ، مما يعينه على فهم ما يجب عليه نحو والدته ونحو أخواته على السواء . ثم أخيرا هو أكبر أخواته . أى انه يلى والده بعد وفاته فى مباشرة وحماية أسرته من الأذى والضرر ، وفى مشاركتها فى دفع العنت عنها فى معيشتها وفى حفظ بقائها .

فهذه عوامل ثلاثة من شأنها ان تكون أى تنمى الشعور بالمسئولية . فمن يرى له اخوة وأخوات يصل عندهم الى التسع وهو الأخ الأكبر بالاضافة لهم . لا يمر عليهم بنظره مرورا خاطفا . وانما يتأمل فى أوضاعهم اليوم وغدا . . يتأمل : كيف يقيم الجوع ، والحرمان ، والمرض ، والجهل ، أو كيف يشارك فى وقايتهم من هذه الأمراض . وهذا يولد الاحساس بالمشاركة فى شئونهم .

ومن يدخل كلية من كليات الأزهر اذا أصر أذنيه عن سماع ما فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، خاصا بالوالدين ، وذوى الرحم فانه لا يحق له أن ينتسب الى الأزهر . فالأزهر مصدر اشعاع ونور يوضح السبيل فى علاقات أفراد الأسرة بعضها ببعض ، قبل أن يكون للتجارة أو الطب . . . أو العلوم .

ومن يكون أكبر اخوته وأخواته يكون أكبرهم فعلا ليس بالسن فقط، وإنما بمستوى التعاطف معهم . وهو مستوى يلى مستوى الوالدين فى الحسب والرعاية لهم .

ومن يرى والدته تكدح فى سبيل لقمة العيش لأخوته وأخواته ، وفى سبيل توفير وسائل الإقامة له بالقاهرة مدة الدراسة بالكلية ، وهى الوحيدة : فانه لا بد أن يقف قليلا ليراجع وضعها ووضع أسرته . فاذا لم يستطع المساعدة المادية فلا أقل من المساندة النفسية والروحية وهى تلك المساندة التى تتجلى فيها عواطف المحبة والمشاركة ، بدلا من القسوة والاهانة واللامبالاة .

ومن الأسف الشديد : أن حب الذات أو الانانية أصبح لدى الشباب ظاهرة من الظواهر القائمة والسائدة فى مجتمعاتنا الاسلامية . الفرد يفكر فى نفسه . . . ويعمل من أجل مصلحته الخاصة . . . ويسعى ضد غيره ان كانت فى عداوته منفعة له . . . وقلما ينظر الى غيره نظرة عطف ومعارنة ومودة .

ومن سيطرة الانانية على الشباب اذا سمع قول الله تعالى : « **ووصينا الانسان بوالديه احسانا** ، حملقه امه كرها **ووضعته كرها** » (١) . . . لا تتحرك مشاعره ، وعلى الأخص نحر والدته ويظل مستغلا لعاطفة الامومة أو عاطفة الابوة نحوه : يأخذ ولا يعطى . . . ويسأل الكثير وليس امامه الا القليل . . . ويغضب وربما يسىء فى اهانتة لوالديه ، بما يتجاوز البذاءة وسلطة اللسان .

واذا سمع قول الله تعالى : « **واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض** فى كتاب الله » (٢) . . . لا يسمعها على انها نصيحة واجبة الأداء بين ذوى القربى بعضهم مع بعض . . . بين الاولاد ، والاخوات ، والاخوة ، وإنما يسمعها على أنه كلام يقرأ ويرتل ، دون أن يطبق .

● والسائلة لها الجزاء من الله وحده . وهى مطالبة بالصبر فان مع العسر يسرا ، ان مع العسر يسرا . والله جل جلاله هو القادر على أن يحول

اولادها الآخرين الى زهور زكية الرائحة تكون ملء سمعها وبصرها فى حياتها الباقية . وهو القادر كذلك على أن يهدى الولد الاكبر ويدخله فى طاعته . وعندئذ تسجد لله شكرا « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا انقم منه توقدون » (١) فالشئ يتحول الى ضده بقدرته وحده سبحانه وتعالى .

١١- لماذا يرفض الاسلام التشاؤم ؟

طالب بكلية طب بشرى باحدى المحافظات يذكر :

انه كان دائما فى خلال سنوات الدراسة السابقة من اوائل المحافظة ، وكان محبوبا من مواطنيه ووسط زملائه . وكما يقول : انه كان من مقومات هذا الحب : انه كان متفوقا فى دراسته ، وكان يعاون زملاءه فى الشرح والمذاكرة . كما كان يمارس الرياضة أيضا مع معارفه . أى انه كان مرحا ومتفائلا فى حياته .

ولكنه منذ سنة تقريبا يسيطر عليه التشاؤم بمعنى انه لو ساعد واحدا من زملائه ثم رسب بعد ذلك يعتبر نفسه السبب فى رسوبه . ولو انضم الى فريق فى اللعب وهزم هذا الفريق يلوم نفسه بأنه مصدر الهزيمة . وهكذا . ومن أجل ذلك يظن انه « نحس » ومع انه يؤمن بالقضاء والقدر ، وانه لا يستطيع أن يخرج من دائرة التشاؤم .

ويسال عن رأى الاسلام فى التشاؤم وما يجب على المؤمن أن يفعله ليعود الى الايمان بالله وحده ؟ .

● دعى المجتمع البشرى على عهد الرسول عليه السلام الى الايمان بالله وحده ، وترك : الطيرة ، أو العيافة . وهى زجر الطير ومشاورته . فكان الرجل اذا أراد سفرا أو غيره خرج الى طير أو ظباء . ويطلق الواحد منها . فان طار يمينا تيمن واستبشر . وان طار شمالا تشاءم ورجع . وذكر الطيرة عند النبى عليه السلام فقال : احسنها الفأل ولا ترد مسلما (أى عن قصده) فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : « اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت ، ولا يدفع السيئات الا أنت . ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم » . فالمسلم يجب أن يتفاعل ولا ينصرف عن قصده الذى قصده بسبب تشاؤم من أمر ما . وعليه أن يدعو الله لازالة الشر الذى يلم به .

(١) يس : ٨٠

وفى حديث عن عبد الله رضى الله عنه : انه عليه الصلاة والسلام قال :
« الطيرة (وهى استخدام الطير فى معرفة المستقبل) شرك ، ثلاثا (تنفيرا ممن
يعتقد انها تبعد الضر وتجلب النفع) وما منا الا (أى ما منا أحد الا يخطر بباله
شئ منها) ولكن الله يذهب بالتوكل » ٠٠

● وكذلك دعى المجتمع البشرى ان ذاك الى ترك استطلاع النجوم فى
تحديد المستقبل ويروى عنه عليه السلام : « من اقتبس علما من النجوم (أى
بادعاء انها تؤثر فى الكون كنجم كذا يجيء بالأقطار ٠٠ ونجم كذا يأتى
بالريح) اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد » ٠٠ والى ترك الهامة ٠ وهى
حائر اذا سقط فى مكان تشاءم أهله ٠٠ والى ترك الغول (والغول أحد
الغيلان ٠ وهى نوع من الجن والشياطين - كما كان يعتقد الجاهليون قبل
الاسلام - تظهر للناس بصور شتى تضلهم عن السبيل وتهلكهم) ٠

● فربط مستقبل الانسان فى افعاله وتصرفاته بحركة نوع من الطير
فى طيره ٠٠ أو بحركة بعض النجوم ٠٠ أو باعتقاد فى خرافة الجن
والشياطين ٠٠ أو بالصدفة فى سقوط طائر معين فى مكان معين ٠٠ كل ذلك
وامثاله كان ظاهرة اجتماعية سائدة فى مجتمع الجاهلية قبل الاسلام ٠
والحديث الصحيح هنا يعتبر الاعتقاد فى هذه الظاهرة شركا : « الطيرة
شرك ، ثلاثا » (أى قالها ثلاث مرات) ٠٠

فدعوة القرآن الى وحدة الالهية دعوة الى الاعتقاد بأن صاحب
التصرف فى الأمر : فى دائرة الانسان ، وفى الكون كله : واحد لا شريك له
وهو الله سبحانه وتعالى ٠ فلا يشاركه جن ولا انس ٠٠ ولا يشاركه نجم
ولا طير ، فيما يقع للانسان فى مستقبل حياته ٠ وليست هناك صدفة ولا حظ ،
وانما هناك قضاء وقدر من الله جل جلاله ٠

هناك الله والانسان ٠ فالله صاحب الفعل والأمر ، ولا راد لما يفعله أو لما
يريد ، والانسان بعمله وبتوكله على الله جل شأنه يجتاز الأزمان ٠٠ ويحصل
رزقه فى الحياة : « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حيا فمنه
ياكلون ٠ وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ٠
ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم ، أفلا يشكرون » (١) ٠٠ فهذه الآيات تضيف
عمل الانسان الى ارادة الله فى حصول الانسان على رزقه فى هذه الحياة الدنيا ٠
وليس معها شئ آخر مما تصوره الكهانة أو الخرافة فى زمن من الأزمنة ٠

● وقد ذكر القرآن الكريم المعوذتين يستعين الانسان بقراءتهما لدفع القلق النفسى ٠٠ أو لدفع مصادر الشر خارج الانسان فيما يحيط به فى حياته .

أما التوكل على الله فهو سند الانسان المؤمن فى المعاونة على انجاز ما يعزم على انجازه من أعمال . والخرافة . والكهانة . والصدفة والحظ . والتنجيم . وضرب الحصى لا مكان لها فى حياة الانسان مع الله واردة الانسان نفسه .

وعلى السائل ان يستعين بالمعوذتين وبالتوكل على الله فى ابعاد التشاؤم عن نفسه . وليعد الى تفاؤله . فالتفاؤل هو ما طلبه الرسول عليه السلام عندما سئل عن الطيرة . وهى مصدر التشاؤم . ان قال : « أحسنها الفأل » .

★ ★ ★

١٢- وسوسة الشيطان :

مواطن بالقاهرة . شاب له من العمر خمس وثلاثون عاما . وهو متزوج وانجب من زوجته ولدين . ويعمل بمهنة حره ويحمد الله على فضله فى الرزق منها .

ويروى : انه منذ عام تقريبا توفى صديق له فسار فى جنازته الى ان ودعه الوداع الأخير الى قبره . ولما عاد من تشييع الجنازة عك الى الله ، بعد ان تذكر الحساب والموت . واقبل على عبادة الله وقراءة القرآن ، واحس بسلامة القرآن والايمان .

ولكن منذ اربعة اشهر الآن ضاق صدره بعض الشيء واحس ان هناك خطرا قويا يحاول ان يبعده عن طريق الله . فكان يقاومه وهو لا يدري : أهذه وسوسة من الشيطان أم أنها النفس الخبيثة ؟ واستمر فى اتجاهه نحو الله ، ولكن يعيش فى صراع مزير وصل الآن درجة يرثى لها من تعب الأعصاب . والخوف ، والشك فى العبادة . ويأتيه شيء فى المنام غريب كان يتعود منه ولا يستطيع ان يحكيه .

وسأل كثيرا من زملائه عن هذا الشيء الذى يريد ان يبعده عن عبادة الله . ويخيفه . ويثير الشك فى نفسه . ولم يصل الى حل ، ولم يزل يعيش فى صراع داخلى . ويطلب النصيحة ، كى يستطيع مساقرة الحياة ، فى غير ضيق صدر . وفى غير ألم نفسى .

● ان طاعة الله تلزم المؤمن به بسلوك معين هو سلوك الملتزم لما يأمر به الله وينهى عنه . والالتزام يحتاج الى صبر وجهاد نفسى . ومعنى جهاد النفس ضبطها فى تنفيذ رغباتها وجعل ما تحققه من رغبات ملائما لأمر الله ونهيه .

والنفس البشرية بحسب استعدادها قد تميل الى الاستقامة . وعندئذ لا يكون جهادها شاقا . وقد تميل الى الفجور والانحراف عن خط الاستقامة . وعندئذ يكون جهادها صعبا . ويلقى صاحبها عنتا : « ونفس وما سواها . فالهيمها فجورها وتقواها (أى قاعدها للخروج عن الاستقامة . . كما أعدها للخشية من الله وتجنب الآثام والمعاصى) . قد أفلح من زكاه (أى قد نجح فى حياته وعند الله من عاون نفسه على الاستقامة) . وقد خاب من دساها (أى وقد أخفق فى حياته وعند الله من تستر على نقائصها ولم يوجهها للتوجيه السليم) » (١) . هذا تصور القرآن الكريم للنفس البشرية ، وانها قد تنحرف وقد تستقيم .

والسائل عندما عاد من منازة صديقه وزيارته لقبره واتجه الى الله فى عبادته واستمع لآياته فى قرانه . استراحت نفسه واطمأنت لما كان يسمعه من كتاب الله . كان واقعا تحت تأثير العبرة الوقتية من الموت . ولكن زحمة الحياة البشرية فى المجتمع وما فيها من مغريات كان يشده اليها . وعندئذ ابتدأ الصراع النفسى المرير ، الذى يتحدث عنه السائل ، وهو صراع بين طرفين :

الطرف الاول : الالتزام وحمل النفس على مساومتها فى السلوك لاوامر الله ونواهيه وجهادها فى ضبطها بعيدا عن الانحراف .

الطرف الثانى : مغريات الحياة البشرية وضغطها على النفوس لحدلها على السير فى طريق الشهوات والاهواء ، بعيدا عن أوامر الله ونواهيه .

وهذا الصراع يخلف نوعين من النفوس . نوع يؤثر الحياة الدنيا ويطفى بمغرياتها . . ونوع آخر يظل يخشى الله ، ويظل ثابتا صلبا فى جهاده النفسى عن الهوى . ويصور القرآن الكريم هذين النوعين فى قول الله تعالى : « فأما من ظغى . وأثر الحياة الدنيا . فإن المجديم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى » (٢) .

(١) الشمس : ٧ - ١٠ . (٢) النازعات : ٣٧ - ٤١

وهكذا الصراع النفسى قائم بين النفوس • وهو يضعف أو يتلاشى عندما تحدد النفس طريقها • وعندئذ أما أن تكون نفساً قوية الإرادة والإيمان بالله • وفى دائرة إرادتها وإيمانها القوى ينتهى الصراع • وأما أن تكون ضعيفة تابعة لهواها وشهوتها • وفى دائرة اتباعها للهوى والشهوة تغلب على أمرها وتتلاشى مقاومتها •

● والمسائل يقاوم الآن هواه وشهوته فى صراعه النفسى • ويخشى أن يغلب على أمره ويفلت منه زمام انقياده وينحاز نهائياً الى عبادة غير الله ، وتندثر عنده آثار العبرة التى استخلصها من موت صديقه والمشاركة فى تشييع جنازته الى قبره •

وعليه الآن أن يستمع الى نداء القرآن الكريم وتصويره لوضع من اتبع هواه فى قوله جل شانته : « وأتل عليهم نبأ الذى آتينا آياتنا فانسأخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين • ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمأله كمثل المكب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » (١) •

ان المسائل فى حاجة الى صبر وتحمل فى مقاومة هواه • فان صبر وتحمل فى ذلك فسيضعف بالتدريج صراعه النفسى ، وتبتعد عنه وساوس الشيطان أو وساوس النفس الامارة بالسوء • كما تبتعد عنه الرؤيا المنامية المزعجة • وعلى الله فليتوكل المؤمنون •

★ ★ ★

١٣- الخروج عن تقاليد المرأة المسلمة :

من احدى الأخوات فى الإيمان : باحدى المحافظات ، تتحدث عن ماضيها •• وحاضرها ، ثم تطلب الراى فى بعض مشاكلها ، فتقول :

انها كانت فتاة متبرجة ، بل وفاسقة • وكانت تصلى ولكنها كانت تنقر الأرض •• وكانت حياتها كلها لهوا ، وليس فيها أى التزام • ولا تعرف الا القليل من أوامر الله • ولا تنفذها • ولذا تطلق على نفسها : انها فاسقة •

فى ذلك الوقت تعرفت على شاب وكانت تخرج معه • وتعاهد الاثنان على ألا يترك أحدهما الآخر ، أو يتخلى عنه مهما حدث • كما تعاهدا أيضا على

(١) الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦

الوفاء والاخلاص وعدم الغدر وقرأ الفاتحة على هذا العهد والتزمت به كما
اللتزم هو به كذلك .

واستمر العهد الى ان هداها الله - كما تقول - وأغدق عليها من رحمته ،
واراد لها أن تكون من الصالحات . ان قد عرفت دينها جيدا ، وبدأت تقرأ
القرآن وتستمع اليه ، بعد أن كانت لا تريد أن تحمل المصحف بالمرة . وتحمد
الله أن قيمت كل ما تفعله . واتضح لها انه كان ضلالا .

وعندئذ طلبت من الشاب الذي تعرفت عليه الا يحاول مقابلتها او التحدث
اليها فى أى مكان بعد الآن . وحذرتة من أن يأتى الى الكلية ، ويلتقى
بها فانها ستتجاهله . فرحب بما تقوله ، وسر كثيرا عندما علم منها انها
ستتردى الزى الاسلامى معلقا على ما ستفعله بقوله : ان هذا الزى له احترامه ،
والتي ترتديه لها احترامها . ووافق على أن لا يقابلها مرة أخرى . ولكن طلب
متها أن تتذكر العهد الذى بينهما ، ولا تذبل به . حتى يأتى ويطلب يدها من
أهلها . وذلك عندما يعمل فى مهنته للشهادة التى حصل عليها .

ولكن الآن - كما تعبر فى رسالتها - أصبحت انسانة ملتزمة بتعاليم
الله ، وتريد أن تعاشر انسانا ملتزما مثلها ، بينما هذا الشاب كما تراه غير
ملتزم . . وأخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه . ولذا هى حائرة وتسال :

هل تقبله وتحاول توجيهه الى طريق الله ؟ أم ترفضه ولا تقبله زوجا
لها ؟ وتخشى ان تكون عندئذ ناقضة للعهد وغادرة بما اتفقت معه عليه ؟ كما
تخشى ان تناقِب من الله عليه ؟ .

وتقول : « انها فعلت الكثير فى حياتها وتريد ان تكفر عن اخطائها
الماضية . ولذا لا تريد الآن أن تفعل أى فعل يغضب الله . فهى بحاجة الى
رضاء الله ورحمته ومغفرته » .

● السائلة تحكم على الشاب الذى تعرفت عليه فيما مضى من حياتها،
وتعاهدت معه على أن لا يترك أحدهما الآخر . . وعلى الوفاء والاخلاص
وعدم الغدر . . تحكم عليه الآن بأن أخلاقه تتنافى مع الدين وتعاليمه . أى
أنه لم يزل فى سلوكه وفى علاقته بالآخرين : أثما أو عاصيا وغير مطيع لله
ورسوله . فان أى شخص تتنافى أخلاقه - والأخلاق هى السلوك - مع الدين
وتعاليمه : يكون حتما مخالفا لأوامر الله ونواهيه كما جاء بها القرآن
الكريم ، أو روتها الأحاديث الصحيحة . ويكفى أن تصف نفسها بأنها كانت
فاسقة لنعرف نحن: أن رفيقها فى ذلك الوقت كان رفيق سوء . . وأن عهدا معه

كان على ضلال ومحرم والعهد الذى يجب الوفاء به هو عهد الله وليس عهد الشيطان . وعهد الله ما كان فى طاعة الله ، وما هو فى طاعة الله يكون لخير المتعاهدين ولخير الآخرين . . . أى لا ينطوى على حرمة أو ظلم أو اعتداء . . . ولا على ما يغضب الله فى شيء ما . . . واذ يطلب القرآن الكريم الوفاء بالعهد فى قوله تعالى : « وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مسئولاً » (١) فانه يطلب العهد المضاف الى الله جل شأنه والذى يرضى عنه الله سبحانه ، كما جاء فى قوله تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٢) . . . اما عهد الشيطان فهو ذلك العهد الذى دخل فيه الهوى وقام على حل المحرمات . . . وعهد السائلة مع رفيق السوء هو من هذا النوع الاخير ، كما تعترف هى بانها فى هذا الوقت كانت فاسقة . . . وان اخلاق صديقها تتنافى مع تعاليم الدين .

وعلى هذا يجب على السائلة ان لا تفكر فيما يسمى بالوفاء بالعهد لانه لغير الله كما انها يجب أن لا تفكر فى انها تستطيع ان توجهه الى طريق الله ، اذا هى قبلته زوجها لها يوماً ما . . . فهو كما يبدو من رسالتها يغير جلده بسهولة . . . فهو عاش معها فى سوء وضلالة وعندما قالت له انها عادت الى الله وتزيت بالزى الاسلامى اقراها على ما قالت . . . واعلن احترامه لها . . . وهو منافق فى الاولى والثانية ويريد مصلحة خاصة ولا يهتم الوسيلة التى توصله اليها . . . ومثل هذا الشخص لا يستقيم فى ايمانه ولا فى توجيهه .

وخير ما تفعله السائلة ان تطرح امر هذا الصديق جانبا . . . وان تسير فى طريقها الجديد . . . والله جل شأنه سيعوضها خيراً منه . طالما اعتمدت عليه سبحانه ، واستقامت فى سلوكها وفى تصرفاتها . . . وسيرضى عنها . . . ويفخر لها ما باشرته من ذنوب ومعاصي . فيما مضى .

ان وقتها سيذهب هباء ان هى حاولت علاج هذا الصديق . . . وان أعصابها سوف لا تحتل ما يأتى به من صنوف الاغراء والخداع . . . وان الحرج فى علاقتها بالله سيتحول الى أزمة تحيل سكونها الآن الى قلق واطمئنانها الى صراع نفسى ينهى حياتها .

(٢) النحل : ٩١ .

(١) الامراء : ٣٤ .

عامل باحدى الوزارات ، ومقيم شعائر بأحد المساجد باحدى المحافظات
يسأل :

١ - ما هو الطاغوت فى عصرنا حتى نكفر به ؟

٢ - ما هى الالهة التى تعبد من دون الله ؟

٣ - ما هى الأرباب ؟

٤ - ما هو الوثن أو الصنم .

● الطاغوت :

نقرأ قول الله تعالى : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم . الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون » (١) .

فالقرآن الكريم يضع هنا : « الطاغوت » فى مقابل الله سبحانه . والله جل جلاله مصدر الخير . . والأمان . . والحماية . . والقوة . . والاستقامة للإنسان المؤمن به .

والطاغوت فى مقابلة اذن : مصدر الشر . . والظلم . . والاعتداء . . والشرك بالله . فكل ما ينطوى على شر ، أو ظلم ، أو اعتداء : طاغوت من الطواغيت . فالإنسان الشرير . أو الظالم ، أو المعتدى « طاغوت » . والمذهب الهدام المقوض لرسالة الله طاغوت . . والجماعة المخربة التى تباشر الفحشاء والمنكر وتزينه للناس ، « طاغوت » . والهوى والركون اليه فى تفويت الحق وإبعاده عن صاحبه طاغوت . . وعبادة غير الله من انسان أو غير انسان على هذه الأرض « طاغوت » وتآليه الزعماء والحكام فى المجتمعات الانسانية صورة من صور الطاغوت .

وهكذا : الخروج عن خط الاستقامة الالهية يدخل فى الطاغوت ، والإنسان عادة يطغى اذا ظن انه استغنى بعصبية أو بقوته المادية . . أو بماله أو بصحته وعلمه ، عن مولاه جل جلاله . فيعبد المال والعصبية ولا يعبد

(١) البقرة : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

الله • ومعنى عبادته للمال والعصبية : أن يجعل اعتماده على أى منهما ، دون أن يعرف الله ويتوكل عليه فيظل في سبيل المال •• ويعيث في الأرض فسادا عن طريق العصبية •

والانسان في حياته مخير بين أن يكون من عباد الله مؤمنا به •• وبين أن يكون من أنصار الطاغوت ، والظلم ، والفساد ، والمعدوان • بين أن يكون من أولياء الله ، أو أولياء الشيطان : « لا اكراه في الدين ، قد تبين المرشد من الغي » (١) •

ومن يكون من أولياء الله - أى من المؤمنين به - يعيش في نور الهداية ، بعيدا عن الانحراف في السلوك والاعتقاد • ومن يكفر بالله ويكون من أولياء الطاغوت - أى من اتباع الهوى والشهوات - يعيش في ظلمة الأهواء ، ان تصرف أو اعتقد : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله (أى يسعون ويجاهدون في تحقيق ما جاءت به رسالة الله) » (٢) •

« والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت (أى يسعون ويجاهدون في سبيل الظلم ، والفساد ، والاعتداء • أى يؤيدون كل مسعى يوصل الى الباطل ونصرة الباغى في بغيه وعبثه) » (٢) •

والطاغوت أو الطغيان اذن مرحلة ممكنة في حياة كل انسان ، يمكن أن يصل اليها اذا خدعته قوته في المال والرجال •• أو اغتر واعتز بغير الله ، أو اعتقد انه اله الأرض يستقل وحده بالسيادة فيها ، على نحو ما تحكى هذه الآية من تصور فرعون عن نفسه :

« وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لأظنه من الكاذبين » (٣) •

● الآلهة •• والأرباب :

والآلهة جمع اله •• والأرباب جمع رب • وهم أولئك الذين يشركون مع الله في العبادة • هم الذين يشركهم ضعاف الناس في صفة الألوهية ، مع المولى جل جلاله •

(٢) النساء : ٧٦ •

(١) البقرة : ٢٥٦ •

(٣) القصص : ٢٨ •

جاءت رسالة الله فى كل مرة ، ومع كل رسول أرسل بالدعوة الى وحدة
الالهوية ، حتى نزول القرآن الكريم .

« قل أى شىء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بينى وبينكم ، وأوحى الى
هذا القرآن لأتذركم به ومن بلغ ، أننكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى ، قل
لا أشهد ، قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون » (١) .

فقد كلف الرسول محمد عليه الصلاة والسلام باعلان اعتقاده بوحدة
الالهوية ٠٠ وببراءته من الشرك ٠٠ أى كلف باعلان أن الله واحد، وهو الكامل
كاملا مطلقا فى الوجود - وينفى أن يكون هناك فى الوجود شركاء له ٠ وقضية
التوحيد فى الالهوية هى جوهر الرسالة اذن ٠ والرسول كان لا يرسل من قبل
الله فى أى جيل وفى أى مجتمع الا اذا ساد الشرك بين الزعماء فى المجتمع ٠
وهنا يأتى الوحي برسالة الله على الأرض لاعلان دعوة التوحيد ٠ ودين
الوحدة فى الالهوية هو الاسلام ٠٠ والذين يؤمنون بالوحدة هم المسلمون ٠

والايمان بوحدة الالهوية من شأنه جمع الصفوف ٠٠ وجمع الكلمة
بين المؤمنين كما من شأنه اضعاف المصراع النفسى الداخلى فى الفرد الواحد
بين شهوته وغرائزه من جانب ، وعقله وحكمته من جانب آخر ٠

وإذا كانت للانسانية مصلحة فى الايمان بوحدة الالهوية فان للطواغيت
والزعماء الذين يؤلهمم ضعاف النفوس من أقوامهم فى كل عهد ، مصلحة فى
الشرك وبقاء القداسة التى ترفعهم الى صف الآلهة ٠

● الوثن ٠٠ والأصنام :

الوثنية عبادة غير الله ٠٠ والشرك بالله ٠ والأوثان ٠٠ والأصنام ، رموز
أو تماثيل تجسد الشركاء لغير الله : « انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون
افكا » (٢) ٠٠ ويصف القرآن الوثنية والأوثان بالرجس والنجس وينهى عنها
ويدخلها فى محيط القول الزور والكذب المخلوق : « فاجتنبوا الرجس من
الأوثان واجتنبوا قول الزور » (٣) ٠

والأوثان ٠٠ والوثنية ٠٠ والشرك ٠٠ والآلهة ٠٠ والأرباب : مفاهيم
تدل على انحراف البشرية عن المسار الصحيح لها فى مجتمع أو فى مجتمعات

٠ (٢) العنكبوت : ١٧ ٠

٠ (١) الأنعام : ١٩ ٠

٠ (٣) الصج : ٢٠ ٠

عديدة : فيؤله الضعفاء الأقوياء ٠٠ يستسلمون لهم ٠ ويقبلون الظلم
والعدوان منهم ٠٠ ويباركون خطواتهم فى الانحراف والاعتداء ، لا يستطيعون
فقدهم فضلا عن مقاومتهم ٠

والايمان بوحدة الالهية : رفع القداسة عن كل موجود ، عدا الله سبحانه
٠٠ عدم الاستسلام الا للكامل المطلق ٠٠ مواجهة الطغيان بالقوة او بالمال
اى بالجاء والسلطة ٠٠ مقاومة الاعتداء والظلم فى أية صورة من الصور ٠

الايمان بالله وحده ، هو منطلق البشرية نحو الحياة الانسانية الكريمة ٠
والشرك بالله ٠٠ الهروب فى دروب خوفا من المواجهة واطلاق الحق
وحده ٠

١٥ - الكفر بالله ٠٠ والترف فى الحياة :

مواطن باحدى الضواحي يذكر :

انه كان ذات يوم مع صديق له ٠ ويرى غيه انه مثقف جدا ٠ وهذا
الصديق المثقف جدا يكفر بالله ٠٠ ويعتقد أن الدنيا خلقت طبيعيا ٠ وبليله
على ذلك :

أن من يصلى ويعبد الله لا يكافئه الله الا بالفقر الدائم ٠٠ وأن معظم
الكافرين فى ترف وثراء ونعيم ، وعريدة ٠ ولا يحمدون الله ولا يصلون ٠
وعلى الرغم من ذلك فهم أغنياء ولم يجازهم الله على كفرهم ٠

وقت حاولت اقناع صديقى هذا بوجود الله وكلمته عن خلق الشمس
والقمر ، والنهار والليل ٠٠ وعن معجزات الانبياء وعن اعجاز القرآن
الكريم ، ولم اقلح ، ولم اقدر على اقناعه لأنى غيى مثقف مثله ، ولكنه قال :
انه تعبنا جدا من هذا الاحساس نحو دينه ونفسيته قلقة لهذا السبب ٠

ويرجو السائل فى ختام كتابه أن نتقدم بانقائنا هذا الشخص وردة الى
دينه ٠

● الشاب الصديق : يقيم تصويره عن الله ، وعن الايمان والكفر به ،
على افتراض خاطيء ٠ وهو ان الايمان بالله يستتبعه حتما الثراء فى الدنيا
واقبال زينتها ومتعها على المؤمن به ٠٠ بينما الكفر بالله يؤدى حتما الى الفقر
والمشقة فى سبيل العيش لمن يكفر ٠

وهكذا : الدنيا أشبه بملك خاص توزع منافعه على المحاسيب والأرباح الذين يتحركون لصلحة المالك ، ويحرم من هذه المنافع من له صلة عداوة أو مناوأة به .

وما هكذا شأن الدنيا في نظر القرآن . فالدنيا وجدت لتكون مجالا لاختبار المؤمن بالله في إيمانه ، واختبار الكافر في كفره . فالمؤمن يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير من هذه المتع . والكافر يعطى من متع الدنيا ويحرم من كثير أو قليل منها .

والمؤمن الذى يعطى من نعم الله يختبره المولى جل جلاله فى هذه النعم :

هل سيتجه بهذه النعم نحو ما يرضى الله : فينفق من المال فى سبيل الزكاة والخير العام ؟ . وفى تنميته للمال سيعتد فى هذه التنمية عن الريا ، واكل أموال الناس بالباطل ، وظلم اليتيم والضعيف من الأطفال والنساء ؟ .

هل سيتجه بنعمة الاولاد أن يكونوا قوة فى سبيل الله والايمان به ؟ أم يتجه بهم الى أن يصبحوا قوة فى الفساد والعبث فى الانحراف ؟ .

هل سيتجه بالجاه وبالسلطة - وهى نعمة من نعم الله على من ولاه الحكم والمسئولية العامة - الى صالح المؤمنين وخير البشر عامة ؟ . أم أنه سيتجه بها لاحقاق الباطل . . والظلم . . والعدوان على الآخرين ؟

والمؤمن بالله الذى يحرم من متع هذه الحياة الدنيا سيختبره الله بهذا الحرمان : هل سيصبر على الحرمان ويظل على مستوى ايمانه بالله ، أو يزيد هذا المستوى عنده . أو يقل ؟

والكافر الذى يعطى من نعم الدنيا سيختبر فى هذه النعم . هل سيتمادى فى طغيانه بهذه النعم ؟ هل ستدفعه النعم الى التمدادى فى كفره وفى ضلاله ؟ اذ الكافر أصلا هو الذى يتبع هواه . ومن يتبع هواه كان الشيطان قرينه . ومن كان الشيطان قرينه كان الباطل مجال نشاطه .

والقرآن الكريم يقيم الدنيا على نحو ما أجملنا هنا ، فى قوله تعالى :

(١) « من كان يريد العاجلة (أى يريد متع هذه الحياة الدنيا . وتسمى العاجلة لأنها سابقة على الآخرة) عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا (أى فالذى يعمل من أجل الدنيا وحدها ،

ودون ايمان منه بالله ، قد يعطى من متعها • ولكن مصيره ان يلقي فى جهنم
ملعوناً » (١) •

(٢) « ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم
مشكوراً (أى ومن عمل فى دنياه من أجل آخرته فأمن بالله وعمل برسالته
لخيرته وخير الآخريين ولم يركب هواه فضلا عن أن يطغى به ، ويصبر على
الحرمان اذا لم تواته الدنيا فان عمله سيقابل بالشكر وستكون الجنة مصيره
فى الآخرة) » (٢) •

(٣) « كلا ثمذ هؤلاء (من الكافرين) وهؤلاء (من المؤمنين) من عطاء
ريك ، وما كان عطاء ريك محظورا (أى على أحد بسبب الايمان او
الكفر) » (٣) •

(٤) « انظر كيف فضلنا بعضهم (وهم الكافرون) على بعض (وهم
المؤمنون فأعطينا الكافرين أكثر مما أعطينا للمؤمنين فى الأرزاق) وللاخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلاً (أى ولكن جزاء الآخرة للمؤمنين يفوق العطاء
الدنيوى للكافرين عدة مرات ، وهو فى نوعيته لا يفضل جزاء مادى
آخر) » (٤) •

وفى آية قرآنية أخرى يقول الله جل شأنه :

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة (أى فى الكفر تحت تاثير عطاء الله
فى الدنيا للكافرين وهدمهم) لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج عليها يظهرون • ولبيوتهم أبوابا وسرا عليها يتكئون • وزخرفا ،
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ريك للمتقين » (٥) •

فالدنيا دار ابتلاء واختبار للانسان ، بنعيمها وبتعها وبيزيتها ،
وبالأموال والأولاد ، والجاه والسلطة فيها ، وليست دار جزاء ، يعطى فيها
المؤمنون ويحرم منها الكافرون • كثيرا ما يقتر على المؤمن فى معيشته ••
وكثيرا ما يدلل الكافر فى حياته بالمال والأولاد ، والجاه •• الخ •

(٢) الاسراء : ١٩ •

(١) الاسراء : ١٨ •

(٤) الامراء : ٢١ •

(٣) الاسراء : ٢٠ •

(٥) الزخرف : ٣٣ - ٣٥ •

والانسان وضع فى هذه الحياة الدنيا ، لا ليمتع بمتعها • ولكن ليسجل تصرفه وسلوكه : أهو انسان يشارك الآخرين معه فى مجتمعه معانى الانسانية وقيمها ؟ • أم يحب الآخرين ويتعاون معهم ، ويساعد صاحب الحاجة على سد حاجته ؟ أم هو أنانى يحب نفسه ولو على حساب غيره ؟ • وقوى الايمان بالله هو ذلك الذى لا تغريه متع هذه الحياة فالكثير منها والقليل بالنسبة له سواء •

وعديم الايمان أو ضعيفه هو الذى يلهث وراء هذه المتع • وفى سعيه للحصول عليها لا يعرف صاحب رحم له • ولا جارا • ولا صديقا • لا يعرف الا نفسه فقط ، ومن هنا يقدر المال ولا يقدر المعانى الانسانية • يقدر الجاه وزخرف الحياة الدنيا ولا يقدر فعل الخير لمحتاج ، أو ضعيف ، أو عاجز ، وربما لو وجد كافرا يستمتع بكثير من متع الدنيا يود أن يكون مثله فى كفره • وفى حيازته للمتعة الدنيوية • وربما يعلن كفره • ولكن قد لا تواتيه الدنيا ، وصديق السائل هنا من هذا النوع • ندعو له بالهداية •

١٦ - ارادة الله • ومسئولية الانسان :

سيده باحدى المحافظات - تطرح خمسة اسئلة وتطلب الاجابة عليها ،
ونذكر الآن ثلاثا منها :

السؤال الأول : خلق الله الانسان ، وخلق له السبب والمسبب • فلماذا يحاسبه اذن فى جنة أو فى نار ؟

ولماذا جعله الله فى كبد منذ ولادته وحتى مماته ؟

وفى أى سن يبدأ خطاب « تكليف » الله سبحانه للانسان ؟

السؤال الثانى : وبما أن الرسول عليه السلام يقول « لا رهبانية فى الاسلام » • لماذا خص الاسلام بالذات بعدم الرهبانية مع انها موجودة فى الأديان الأخرى التى هى أيضا منزلة من عند الله ؟

السؤال الثالث : بما أن الأديان الأخرى المنزلة من عند الله تدعو أيضا الى الهداية وعدم فعل الأشياء التى لا يرضى عنها أى دين فلماذا يقول الله سبحانه وتعالى أيضا فى كتابه العزيز : « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) ؟ •

(١) آل عمران : ٨٥ •

وهل معنى ذلك أن الديانات الأخرى نفيت الى غير رجعة رغم وجود
اناس يعتقدونها ؟

● الاجابة عن السؤال الأول :

الله سبحانه وتعالى خلق الانسان على وضع خاص ٠٠ خلقه من بدن .
ومن عقل ٠٠ خلقه من بدن تتكفل به الغرائز وهى مصادر الشهوة والهوى فى
الانسان ٠٠ وخلقه من عقل يتكفل به سمعه وبصره وادراكه ٠ وجعل بين
الطرفين فى تركيب الانسان او فى طبيعته صراعا خفيا ٠ فبينما الغرائز تدفع
الانسان فى غير شعور ؟ اذا بالعقل يحاول وقف اندفاع الغرائز ويحاول
توجيهها ٠ والانسان اذن فيه مصدر الحركة ، وهو الغرائز ٠٠ ومصدر القيادة
والتوجيه ، وهو العقل او الادراك ٠ وكلما كانت الغرائز قوية كلما كانت مهمة
العقل اصعب ٠٠ وكلما كان الصراع بين الطرفين اشد ٠

واذا كانت للانسان قيادة ذاتية ، ممثلة فى العقل ، فله ارادة واختيار ٠
والارادة هى الظاهرة المميزة للانسان ٠ والانسان اذن هو صاحب مشيئة ،
واختيار ، و ارادة ٠ كما هو صاحب حركة ذاتية : يسعى فى الأرض ٠٠
ويفكر فى خلق السموات والأرض ٠ ويختار المسبيل الذى يرضاه : « فمن
يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون » (١) ٠

فله ارادة فى ايمان المؤمن وفى ضلاله ٠ وللانسان كذلك اختيار فى
ايمانه وفى ضلاله ٠ فاما ارادة الله فهى مساعدة من يهتدى بارادته على
انجاز هدايته بأن يشرح صدره للإسلام : « فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره
للاسلام » ٠ واما ارادة الانسان فهى فى انجازه للهداية على ضوء انشراح
صدره من الله لها ٠

واما ارادة الله فى ضلال من يكفر فهى أن يجعل صدره ضيقا حرجا :
« ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء » ٠
وارادة الكافر لكفره تتمثل فى أن يضيق صدره بما يذكر الله ولا يرى اشعاع
هدايته . فيظل فى ظلام الضلال والحيرة ٠

وحساب الله للانسان على كفره أو على هدايته وايمانه لأنه استجاب
باختياره للإيمان ٠٠ او لأنه لم يستجب أيضا باختياره فظل على كفره وضلاله ٠
فهو له ارادة فى كـتـا حـالـتـيـن . بجانب ارادة الله جل شأنه ٠

(١) الانعام : ١٢٥ ٠

● أما الشق الثانى من السؤال الاول وهو انه : لماذا جعل الله الانسان منذ ولادته فى كبد أى فى مشقة وتعب ؟

فالمشقة التى يعيش فيها الانسان منذ ولادته هى مشقة الصراع النفسى الداخلى بين غرائزه كمصدر للهوى والشهوة . وعقله كمصدر للتوجيه حسب رسالة الله وما جاء فيها . وهذا الصراع هو الذى يوزع الناس الى طغاة . أو الى ولاة خاشعين : « فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فان الجحيم هى المأوى . وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فان الجنة هى المأوى » (١) .

مطلوب من الانسان حسب رسالة الله : ان يجاهد نفسه . ومعنى جهاد النفس جهاد الهوى والشهوة . حتى لا يطفى الانسان عن طريق شهوته وهواه . وهنا الانسان من أجل هذا الجهاد فى كبد ومشقة . لأنه ليس من السهل أن يتحكم الانسان فى شهوته فيعف عن الزنا والمنكرات . وليس من السهل ان يتحكم فى هواه فيتجنب قتل النفس التى حرم الله قتلها . كما يتجنب الظلم والاعتداء على الآخرين . والمشقة اذن التى ولد فيها الانسان ويعيش فيها الى مماته ليست مشقة السعى فى سبيل الرزق . بل هى تلك المشقة النفسية التى يصارع فيها الانسان نفسه الأمانة بالسوء ، والنفس الأمانة بالسوء هى النفس التى يسيطر عليها الهوى وتسيطر عليها الشهوة .

● الاجابة عن السؤال الثانى :

وعن « الرهبانية » وموقف الاسلام منها ، فقد جاء قول الرسول عليه السلام : « لا رهبانية فى الاسلام » والرهبانية هى المبالغة فى العبادة والانقطاع عن النفس « والمعيشة الخشنة . والبعد عن النساء . ويروى عن الرسول ﷺ قوله : « ان ليدنك عليك حقا » . كما يروى عنه : « من لم يتزوج فليس منى » والقران الكريم يشير الى أن دين الله لا يعرف الرهبانية ، فضلا عن أن يدعى اليها . يقول تعالى : « وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه (أى اتبعوا المسيح عليه السلام) رافة ورحمة ، ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله (أى لم نفرضها عليهم وانما هم الذين اخترعوها وفرضوها على أنفسهم يرجون من تطبيقها رضاء الله) فما رعوها حق رعايتها (ولكن كثير منهم لم يؤدها حق الأداء . بل أهملوها ولم يرعوها) ، فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم ، وكثير منهم فاسقون . (وكان اهمالها سببا فى خروج كثير منهم عن الخط المستقيم . وهكذا لم يؤجر الا القليل منهم ، وهو الذى بقى على ايمانه) » (٢) .

(٢) الحديد : ٢٧ .

(١) النازعات : ٢٧ - ٤١ .

والاسلام ليس دين القرآن ورسالة الرسول محمد عليه السلام وحده .
وانما الاسلام دين الله . « ان الدين عند الله الاسلام ، وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » (١) .

فكل رسالة من الله على يد رسول ارسل بها الى قومه هي الاسلام ، وهي
دين الله . والمراسلات قبل القرآن تعرضت للتغيير والتحريف عن طريق بعض
الزعماء . فلما جاء القرآن كان الفيصل فيما بقى من رسالة الله لقوم من
الأقوام وما تغير أو طرأ عليها يخاطب الله جل جلاله رسوله الصادق الأمين :
« وانزلنا اليك الكتاب بالحق (وهو القرآن) مصدقا لما بين يديه من
الكتاب (أى من الكتب السماوية السابقة) ومهيما عليه (أى صاحب هيمنة
وحجية على ما هو موجود ، من الكتب السماوية وقت نزول القرآن . فالقرآن
هو القول للفضل فى شأن دين الله الذى هو الاسلام) فاحكم بينهم بما انزل
الله ، (وهو الاسلام) ولا تتبع أهواءهم (فيما بدل أى غير أو حرف من الزعماء)
عما جاءك من الحق (وهو القرآن) » (٢) .

● الاجابة عن السؤال الثالث :

وأصبح مفهوما الآن ان الاسلام هو رسالة الله ، ودين الله على الأرض ،
منذ أقدم الرسالات ، منذ ابراهيم عليه السلام وليس هو القرآن وحده :
« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما » (٣) .

كما أصبح مفهوما كذلك : ان القرآن - وهو آخر الرسالات السماوية بدين
الله الذى هو الاسلام ، كما تقول الآية الكريمة : « اليوم اكملت لكم دينكم
واقممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » (٤) أصبح مفهوما : ان للقرآن
هيمنة ، وحجية وكلمة فاصلة بين ما لله فى دين الله الذى هو الاسلام ، وبين ما
تعرض له دين الله على ممر الأجيال والعصور من تحريف أو تغيير أو تبديل
اقتضته المصلحة الخاصة للزعماء الدينيين .

فالاسلام دين الله فى كل رسالة سماوية . « قالوا نعبد الهك واله آباءك
ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » (٥) .

(٢) المائدة : ٤٨ .

(٤) المائدة : ٣ .

(١) آل عمران : ١٩ .

(٣) آل عمران : ٦٧ .

(٥) البقرة : ١٢٣ .

والقران هو كتاب الله الذى يرجع اليه المؤمنون بالاسلام .
« ومن يتق غير الاسلام ديننا (لأنه دين الله) فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) . صدق الله العظيم .

١٧- العقل والمقلب ومنزلتهما فى كتاب الله :

مواطن من احدى المحافظات يسأل سؤالين :

السؤال الاول :

فى القرآن الكريم توجد آيات تدل على أن العقل يفكر . . . وكذلك القلب يفكر . فما هذه الآيات ؟ . . . وما صلة القلب بالعقل من ناحية التفكير ؟ .

السؤال الثانى :

بعض المؤمنين يقولون : ان اولياء الله الصالحين يعلمون ويشعرون بالذى سيحصل من غيب الأمور .

فما رأى الدين فى ذلك ؟ واذا كان صحيحا فارجو توضيح ذلك من خلال الكتاب . . . والسنة ؟ .

● اجابة السؤال الاول :

يحدد القرآن مكان القلب بانه فى الصدر . يقول : « ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (٢) . ويحدد كنهه وذاته بأوصافه ووظائفه :

١ - فيجعله مركز الفهم والتعقل ، فيقول : « ولقد ذرأنا لجهنم (أعددنا لجهنم) كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (٣) . . . فجعل الانسان يفقه ويفهم بقلبه .

ويقول ايضا : « أقلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو

(٢) الحج : ٤٦ .

(١) آل عمران : ٨٥ .

(٣) الأعراف : ١٧٩ .

أذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » (١) ٠٠ فانه ينسب الى القلوب عمل العقل والفكر ٠٠

٢ - ويجعله مركز المسئولية : فيقول : « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمها فانه اثم قلبه ، والله بما تعملون عليم » (٢) وهكذا القلب ياتم ويعصى ، ويطيع وينفذ ٠

٣ - ويجعله مركز الايمان والكفر ، فيقول : « من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » (٣) ٠

ويقول : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه ، والله بكل شيء عليم ، (٤) ٠٠ فالقلب مكان الايمان والكفر ٠

كما يقول : « ما جعل الله لرجل من قلوبين (أحدهما للايمان ، والآخر للكفر) في جوفه » (٥) ٠٠

٤ - ويجعله مركز الاحساس ، فيقول : « وآلف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله آلف بينهم ، انه عزيز حكيم » (٦) ٠٠ فالترابط بين المؤمنين هو ترابط الشعور ، والاحساس العميق ٠

ويقول « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » (٧) ٠٠

٥ - ويجعله مركز الوعي في الانسان فيقول : « نزل به الروح الأمين ٠ على قلبك لتكون من المنذرين ٠ بلسان عربي مبين » (٨) ٠٠

٦ - ويجعله مركز الذوق ، فيقول : « واذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا نكسر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » ٠٠ (٩) ٠٠ فالقلوب كما تشمئز : تفرح وتستبشر ٠

-
- | | |
|---------------------------|----------------------|
| ٠ (٢) البقرة : ٢٨٣ | ٠ (١) الحج : ٤٦ |
| ٠ (٤) التغاين : ١١ | ٠ (٣) النحل : ١٠٦ |
| ٠ (٦) الانفال : ٦٣ | ٠ (٥) الأحزاب : ٤ |
| ٠ (٨) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٥ | ٠ (٧) آل عمران : ١٥٩ |
| | ٠ (٩) الزمر : ٤٥ |

والقلب أخيرا فى نظر القرآن الكريم يمثل بانضمامه الى السمع ،
والبصر : الخصائص الانسانية فى الانسان على معنى ان الانسان يتميز عن
الحيوان بالقلب مع السمع والبصر . والسمع والبصر هما مدخلا الادراك
والتعقل . فيقول الله جل شأنه :

« أفرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه
وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون » ؟ (١) .
أى ان مثل هذا الذى اتبع هواه وجعل منه الهه يعبد ، وأغلق عليه قلبه ،
وعطل عليه سمعه وبصره : يستحيل عليه ان يصل الى هداية الله . . . وليس
هناك فى الوجود ، عدا الله من يمكنه منها . لان منافذ الانسانية لديه سدت
جميعها .

وهكذا : يكاد يكون القلب - فى تقدير القرآن له - أن ينظر اليه على
أنه هو المركز الذى تتفرع منه وتنتهى اليه شرايين الانسانية . واذا كان القلب
فى نظر الاطباء هو العضلة التى تنظم توزيع الدم حسب حاجات البدن . . .
فانه فى نظر الاسلام هو مصدر التوجيه والقيادة فى الانسان ، الذى يضل
ويهديه .

● اجابة السؤال الثانى :

نسب الى الكهان فى مكة . قبل نزول القرآن ، وتكليف الرسول محمد
عليه السلام برسالته : انهم يتلقون علم الغيب مسبقا - وهو علم السماء ،
أو علم الله جل جلاله - من شياطين الجن . وان هؤلاء الشياطين من الجن لا
يؤمنون بالبعث كما لا يؤمن الكهان انفسهم وأمثالهم من زعماء الوثنية
والشرك : . . . وأنهم (أى شياطين الجن) ظنوا كما ظننتم (وهم رجال الانس
من المشركين والكهان) أن لن يبعث الله أحدا » (٢) . . .

ومعنى هذا الادعاء :

● ان هناك من المخلوقات من يطلع على علم الله ، قبل الآخرين
منهم . . . وان أكثر المخلوقات شرية وكفرا وهم شياطين الجن يسترقون السمع
من السماء عند حديث الله مع الملائكة . ومن هنا يتسرب علم الله الى المشركين
من الكهان . وشياطين الجن مع الكهان يعلمون اذن مقدما : غيب السماء
قبل أتباعهم .

(٢) الجن : ٧ .

(١) الجاثية : ٢٢ .

وأراد القرآن الكريم - فى ختام سورة الجن - أن يكذب هذا الادعاء
فيقول جل شأنه :

«عالم الغيب (أى هو الله عالم الغيب) فلا يظهر على غيبه أحدا (أى هو
جل جلاله محتفظ بعلمه وحده فلا يطلع عليه أحدا اطلاقا من الجن والانس .. من
المؤمنين ، أو المشركين على السواء) . إلا من أوتى من رسول (أى الا فى
حالة واحدة . وهى حالة اختياره رسولا) ، (١) .

والرسول على الأرض من الانس ، وليس من الجن أو الملائكة : « وما
منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا .
قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا » (٢)

وقى حال اختيار الله جل جلاله رسولا من البشر واطلاعه على علمه عن
طريق الوحى فانه يحتاط معه بحيث لا يتسرب منه شيء حتى يودى رسالته
بإبلاغها كاملة الى الناس : « فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم
أن قد ابلاغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا » (٣) . . .

وتكذيب هذا الادعاء معناه : أن الله وحده دون كائن من كان سواه هو
الذى يحتفظ بعلم الغيب .. وهو الذى يختار من يطلعه عليه .. ومن يختاره
يكون من الرسل أصحاب الرسالة .. والرسل أمناء ومعصومون لا يبلغون
شيئا من هذا العلم الا بعد أن يؤذن لهم .

واذن من عدا الرسل من عباد الله وأوليائه ليست لديهم أهلية لتلقى علم
الله وأشاعته بين الناس . والمؤمنون جميعا بعد الرسل سواسية فى عدم معرفتهم
بعلم الله . والجن شياطينهم والمؤمنون منهم بعيدون كل البعد عن اتصاليهم
بعلم الغيب .

وهكذا: الاسلام ان ميز بعض المؤمنين عن بعض فبالتقوى وحدها وليس
بعلم الغيب : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان لله عليم خبير » (٤) . . .

(١) الجن : ٢٦ ، ٢٧ . (٢) الاسراء : ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) الجن : ٢٧ ، ٢٨ . (٤) الحجرات : ١٣ .

١٨- مجاهدة النفس واجب أولى للمؤمن بالله :

طالب جامعي مسلم - من احدى المحافظات - يؤدي الصلاة جماعة ، ويؤدي الفرائض الأخرى ، وتمسك بالسنن ٠٠ ويدعو الى الإسلام بين أهله وجيرانه ومعارفه ٠٠ ولا يدخن ٠٠ ولا يشغل نفسه بسماع الاذاعة ومشاهدة التلفزيون ٠ ومشكلته كما يقول :

انه يسكن في منطقة كثرت فيها أجهزة التلفزيون ودور السينما ، وله فيها متجر يقف فيه وقت فراغه ويتردد عليه كثير من فتيات الجيران ٠ وهو يغض بصره عنهن ٠ ولكنه يسمع أحاديثهن ويتناولن فيها العلاقة بين الرجل والمرأة بالفاظ تحرك الشهوة عنده وهو واقف بالمتجر وهن أمام منازلهن ٠ ولذا لا يستطيع أن يحول بينهن وبين هذه الأحاديث ٠ وارتكاب الفاحشة في جو هذه المنطقة لا تحول دونه صعوبة ، كما يقول ٠

وكثير لهذه الأحاديث في جو المنطقة يدخل الشيطان نفسه ويحرك شهوته ٠ وخشية من الوقوع في الزنا يباشر « العادة السرية » بيده من وقت لآخر ٠ وحاول كثيرا أن يمنع هذه العادة ويتوب الى الله ولكنه تحت ضغط هذه الظروف يعود اليها خوفا من الزنا الذي هو أيسر كما يقول من الحصول على الأكل والشرب ٠ وهو لا يستطيع الزواج لأنه فقير وتكلفة بيت الزوجية لا يقدر عليه ٠ كما انه جرب الصوم فكان يغلب على أمره بمباشرة هذه العادة وهو صائم ٠

ويسأل عن حكم مباشرة هذه العادة في هذه الظروف التي يصفها في رسالته ؟ وعن العبادات التي يؤديها وهل تعتبر في حالته هذه تعبيراً عن نفاق؟ وهو في حيرة من أمره ٠

● مطلوب من المؤمن أن يجاهد نفسه ٠٠ أن يجاهد دون أن تغلب شهوة بطنه أو فرجه عليه ٠ ومجاهدة النفس صراع بين طرفين : بين الشهوة التي تدفع اليها الغريزة ، وبين الهداية التي تدفع اليها رسالة الله ٠ ورسالة الله هنا تدفع الى عدم الاستسلام الى اغراء الشهوة ، سواء أكانت شهوة البطن أو شهوة الفرج ٠

وعبادة الصوم فرضت لتدرب الانسان الصائم على عدم الاستجابة لاغراء الشهوة أيا كان مصدرها ٠ فالصائم في صومه يصارع ضد شهوته ورغباته : يمسك عنها ، ويحول دون أن يتحقق ميل النفس الى ما تشتهييه ٠

ومجاهدة النفس هي الركيزة الأولى في الايمان والتدين ٠ ومن لم

يستطع مجاهدة نفسه يظل ايمانه على هامش حياته ، كما يكون تدينه شكلا
لا جوهر له .

وكلما كان الجوى الذى يعيش فيه المؤمن مليئا بالمغريات ، وميسرا
للانسان فيه ارتكاب الفاحشة أو المنكر ، كلما كان جهاد النفس شاقا ، وكلما
كان ثوابه عند الله اعظم .

جهاد النفس لا يعرف التراخى ، ولا يعرف الحل الوسط ، ولا يعرف
التأجيل . فمن يريد مثلا أن يجاهد نفسه ضد منكر ما ، أو ضد فاحشة ،
فعلية أن يمسك من فوره عنها ، وأن يعمل على ازالتها لو كانت بين يديه .
فمن تعود التدخين ويريد أن يجاهد نفسه ضده فعليه فى الحال أن يتخلص
مما معه بصورة نهائية . ومن تعود شرب الخمر وأراد أن ينتهى عن الشراب
ويجاهد نفسه ضده ، عليه أن يسكب على الأرض فى غير أرجاء ما يكون لديه
منه . وهكذا فى مباشرة العادة السرية . أو فى مباشرة فاحشة الزنا يحزم
أمر نفسه بارادته القوية فى الامتناع عن مباشرة أى منهما . ولو كانت النفس
قد تهيأت للمباشرة بالفعل ، ولو كانت الظروف قائمة لتنفيذ المباشرة .

ومن يرجىء الامتناع والامسك عن المنكر أو الفاحشة الى وقت آخر
مستقبلا ، حتى يتيح لنفسه استغلال الفرصة العاجلة بين يديه . لا يكون
وضعه وضع من يجاهد نفسه . بل يكون وضعه وضع المؤرجح أو المقلّب ،
والمتردد . من يقول ائى سأمتنع وسانتهى من هذا المنكر أو ذاك ، أو من هذه
الفاحشة أو تلك ، غدا أو بعد غد حتى أكون قد فرغت مما لدى أو حتى أكون
قد أعددت نفسى وهياتها نحو الحرمان والامسك عن المنكر أو الفاحشة .
من يقول ذلك تنقصه الجدية ، وينقصه العزم ، وينقصه الايمان القوى . ومثله
مثل من يباشر المنكر ثم يتوب ويستغفر الله . ثم يعرد لمباشرته ، ثم يتوب
ويستغفر الله . وهكذا .

جهاد النفس عزم وتصميم على الامسك والحرمان مما تشتيه النفس
الأمارة بالسوء . والذى يجاهد نفسه يعلم ما فى بيئته من مغريات ومفاتن ،
كما يدرك فى نفسه قوة العزم على المقاومة . ثم ينتهى الى قبول التحدى
للمغريات والمفاتن . واصراره على المقاومة هو عادل نجاحه . فاذا كان
ارتكاب المنكر أو الفاحشة عادة له ، فستضعف هذه العادة تدريجيا ، وتحل
بدلا منها عادة أخرى بحكم اصراره ، تساعده على الامسك . وهى عادة
الحرمان والمقاومة لما تشتيه النفس عن طريق البطن أو الفرج .

واذن جهاد النفس لا بد أن يكون عادات لدى من يجاهد نفسه ، بدلا
من تلك العادات التى كونتها مباشرة المنكر والفاحشة . فاذا لم يكون عادات

على الضد من العادات السابقة فهو جهاد خادع ٠٠ اذا لم يمتنع عن الشراب
٠٠ اذا لم يمتنع عن الوشاية والنميمة ٠٠ اذا لم يمتنع عن الكذب والضلال
٠٠ اذا لم يمتنع عن السرقة ٠٠ اذا لم يمتنع عن فاحشة الزنا ٠٠ اذا لم يمتنع
عن عادة الاستمناة : فما يدعيه من جهاد للنفس غير صادق .

وتكوين العادات الجديدة وهي التي تأتي نتيجة للاصرار على الحرمان
والامساك ضد الموبقات : ستساعد من يجاهد نفسه على الاستمرار في
المجاهدة : في سر، في غير ضيق ٠٠ ستزيد عنده المقاومة بحيث يكون أمرها
غير شعورى ٠٠ بحيث يكون أمرها سهلا لا يحتاج الى عناء .

● وهل المسائل في هذه الرسالة جاهد نفسه بحيث كان جهاده صادقا ٠٠
الظاهر من مباشرته إعادة السرية مرة بعد الأخرى ، ثم بعد كل مرة يعلن
توبته ، ورغمما عن اعلان توبته يعود الى الممارسة من جديد : الظاهر من ذلك
أنه لم يجاهد النفس ضد هواها ، ولم يقف في عزم وتصميم ضد المغريات
التي تحيط به كما يقول . وتدينه مظهر لم يصل الى عمق نفسه بعد .

ونحن لا نقول له : ان ما تباشره من العادة السرية هو حل مؤقت لأزمتك
النفسية ضد الوقوع في ارتكاب فاحشة الزنا الذى هو أمر ميسور كما تقول
الرسالة . وانما نقول له : باشر جهاد النفس . وهو أمر مطلوب ومفروض
على كل مؤمن برسالة الله . ومباشرته أولا مقدمة ضرورية لتقييم عمل المؤمن
بعد ذلك ٠٠ وتقييم ما يقدم عليه فى حياته .

ان جهاد النفس شاق . ولكنه السبيل الأول الى تحويل الايمان بالله الى
عمل صالح . ليست هناك انفصالية بين الايمان بالله ، والعمل الصالح الا فى
نفس الضعيف الذى ينطق بشهادة : ان لا اله الا الله - وأن محمدا رسول الله،
ثم يسير فى عمله حسبما تدفعه هواجس النفس وتملى عليه الأهواء
والشهوات .

وربما يرى بعض الفقهاء ، ان مباشرة العادة السرية فى الظروف التي
يذكرها الشاب الجامعى فى رسالته لا تدخل فى نطاق المحرم شرعا ، دفعا
للوقوع فى الزنا . لكن الفتوى بذلك تدخل التراخى فى مجاهدة النفس ،
الأمر الذى يحول دون أن تتحقق هذه المجاهدة يوما ما وتؤتى ثمرها ، كما
هو مرجى لها .

وبعد ذلك : هل مباشرة العادة السرية تؤثر تأثيرا سلبيا على الوظائف
العضوية للمبدن ؟ الكلمة فى ذلك لأصحاب الاختصاص ، وهم الأطباء .

١٩- عبادة الله على حرف :

أنسة بأئسة معذبة باحدى القرى ٠٠ تشكو حظها السييء فى الحياة ، رغم انها تصلى وتصوم الفروض والنوافل منذ كان سنها خمسة عشر عاما ، وهى الآن فى الثالثة والعشرين ٠

وتقول : ان حالتها كانت عادية ، وكانت سعيدة بما تقترب به الى الله من عبادات ٠ ولكن ابتدأت تتغير منذ ان تزوجت أخذت لها وهى تصغرها بثمانى سنوات : « فبئست من حياتى ولم اتذوق سوى المر والهوان ، بسبب كلام الناس ٠ فقاطعت الصلاة والصوم لمدة شهر ٠ ولكن سرعان ما رجعت لعلى وأؤدى الفرائض كما كنت أفعل » ٠

ثم تقدم لخطبتها شاب ، ولم يكن يعرفها ، حتى اذا رآها استقبح شكلها ورفض أن يتزوجها ٠ وأعلن « أنها وحشية » ٠ وهنا اقسمت على المصحف بان لا تتذوق الطعام والمشرب لمدة عشرين يوما حتى تتخلص من حياتها ٠ ولكنها اضربت لمدة يومين فقط ولم تستطع أزيد من ذلك وتسأل عن كفارة هذا اليمين ٠

وتعود مرة أخرى لتسأل : لماذا خلق الله سبحانه أخواتها البنات - وهن ثمان - جميلات وهى قبيحة الشكل ؟ ٠ مع العلم بانهن جميعا لا يؤدين فريضة الصلاة والصوم ٠ وأن أعمارهن تتراوح ما بين اثنتى عشرة وسبع وعشرين ٠ لماذا هى تعسة ؟ ولماذا هن محظوظات ؟ ما السرفى هذا ؟ ٠

● السائلة بثت من الحياة مرة عندما تزوجت أختها الصغرى ٠ وانقطعت عن الصلاة والصوم ، ربما باعتبار ان العبادة لم تحقق لها هدفها فى الحياة ٠ وحاولت مرة أخرى الانتحار بالاضراب عن الطعام والشراب ، عندما رفضت خطبتها واستقبح شكلها ٠

وتنعى حظها فى الحياة لأنها لم تكن جميلة المنظر كأخواتها الثمان ٠٠ ولأن : عبادتها لله سبحانه لم تكن ذا عوض لها ، فقبلها هدفها من الزواج ٠

الزواج فى حياة البنت المسلمة فى مجتمعاتنا المعاصرة هدف رئيسى لها ، تسعى اليه سعيا مباشرا أو غير مباشر ٠ فان مارست التعليم والتحقت بكليات الجامعة ٠٠٠ وان مارست العمل خارج المنزل واختلطت بغير المحارم ، فلكى تحقق هدفها الاول من الزواج ٠

البنات المسلمة من تقاليدنا أن تحافظ على عفتها ، وان تعترز بانها عذراء
عندما تزف الى زوجها . واحتمالها فترة المراهقة بعيدة عن العلاقة الجنسية
يجعلها متطلعة الى الزواج على انه هدف أصيل فى حياتها ، تنسج حوله
امانيها ، وتعظم شأنه ، بحيث يصبح مصدر خيالها الذى رسمه مستقبلها .

وبموقف السائلة من الانقطاع عن العبادة عندما تزوجت أختها . . ومن
محاولتها الانتحار عندما رفضت خطبتها . . ومن تساؤلها عن السر فى أن
اخواتها محظوظات ، عداها هى ، يحس القارئ لرسالتها : انها تعيد الله
على حرف أى تعبده غير متمكنة من عبادتها . . أى تعبده ليس لغاية العبادة
فى ذاتها ، وانما لترقب منفعة أو لدفع ضرر عنها . فهى ربما ترجو من
عبادتها هنا : أن يعوضها الله بها عن جمال الخلقة فيوفقها لزوج يسعدها
كما يوفق اخواتها بسبب جمالهن لأزواج يحملون مسئولياتهن فى الحياة .

وقد جاء فى كتاب الله فيمن يعبد الله على حرف ، قوله : « ومن الناس
من يعبد الله على حرف ، فان أصابه خير اطمان به ، وان أصابته فتننة
(أى ما يفتن ويبتلى به من أحداث الحياة) انقلب على وجهه ، خسر الدنيا
والآخرة (أما أنه خسر الدنيا فلأنه لم يصل الى المنفعة التى يترقبها من
عبادته ، وأما أنه خسر الآخرة فلأن عبادته لم تكن لله وانما كانت للشيطان) ،
ذلك هو الخسران المبين » (١) .

فهذه السائلة انقلبت على وجهها فانقطعت عن الصلاة والصوم ،
وحاولت الانتحار - وهو يأس من رحمة الله - وتحاول أن تعرف سر الله فى
أن خلقها قبيحة الشكل ، دون اخواتها . وهذا ينطوى على الاعتراض على
خلق الله .

● ان العبادة لله يجب أن تكون خالصة للمولى جل جلاله . فهى
ليست تجارة ولا وسيلة لمصلحة شخصية . ولا ينبغي أن يتغنى بها الانسان ،
ولا يمن بها على الله سبحانه . فادأؤها ان كان لمصلحة فلمصلحة من
يؤديها . وهو أن يكون صاحب استقامة فى سلوكه ، وصاحب مشاركة
ومعاونة فى معاملاته .

● وعلى أية حال فلا اعتراض على قدر الله ، عندما خلق السائلة -
كما تقول - قبيحة الشكل ، بينما خلق اخواتها الثمان جميلات المنظر . إذ
ربما قبح الشكل يتحملة من خلقه الله قبيحا فى وجهه ، ولا يتحمل مرضا

يعذبه ولا يبرأ منه الا بالموت . فلو ابتليت السائلة بمثل هذا المرض لما تزوجها أحد . . . ولما تمت أن تكون على قيد الحياة لحظتين معا .

السائلة لا تدرى جانب الخير فى قدر الله لها . وانما الايام ستكشفه . وكلما صبرت . . . وكلما استسلمت لقضاء الله كلما اطمأنت نفسها وكلما ظهر لها اليسر بعد العسر . . . وكلما انفرجت أزمته النفسية وحلت عقدتها فى الزواج .

والناس ليسوا أصحاب ذوق واحد ولا تقدير واحد . فجاناب من ينفر منها لقبح شكلها كما تدعى . هناك من يقبل عليها فى راحة نفسية لانه يقدر فيها شيئاً اخر غير جمال الوجه : يقدر فيها عذوبة الصوت . . . يقدر فيها الحكمة فى الراى . . . يقدر فيها قوام البدن . . . يقدر فيها جانب العطف والرحمة . . . يقدر فيها حنان الام المقبلة . . . يقدر فيها الاستعداد للمشاركة فى الحياة . خيرا وشرها على السواء .

وجمال الوجه ليس كل شيء . فقد تكون صاحبة الوجه الجميل من أقبح خلق الله فى مخبرها . . . وفى سلوكها . . . وفى معاملتها . . . وفى نظرتها للحياة . وقد تكون انانية فى طباعها . . . ومزعجة فى عاداتها . . . وعندئذ لا تصلح زوجة . . . وعندئذ يتحول جمال الوجه الى امر كزبه المنظر لمن يعاشر صاحبه .

وإذ سبحانه قد اعطى حتما صاحبة الوجه القبيح نعمة فأكثر من نعمه التى تجذب القبول لها والسعى للتقرب منها . والسائلة عليها أن تفتش فى نعم الله عليها . فستجد جملة منها تعوض قبح الشكل وتجعلها مطلئنة الى مستقبل سعيد لها بالزوج . . . وبالولد معا .

٢٠- المزوجة مكلفة كالزوج باداء العبادات وتركها اداء الصلاة كفيل
بنشازها :

مواطن باحدى المحافظات ، يعرض قصة علاقته مع زوجته ، ويستطلع الراى فيها ، فيقول :

تزوجت انسانة اظهرت لى أنها متدينة ، منذ أن تقدمت لخطبتها . وقد سررت بتدينها فعلا ، وأحسنت هى بهذا السرور فى نفسى .

وبعد الدخول بها بعدة أشهر اكتشفت أنها لا تصلى • وعندئذ تغير كل شيء فى معاملتى لها : فنصحتها •• وضربتها •• وهجرتها فى الفراش •• وأخيرا عرضت شأنها على حكمين من أهلى وأهلها • وكل ذلك ان نقل اليها غضبى فلم يخفف من اصرارها على ترك الصلاة •

والآن أنجبت منها طفلا • وأخشى أن أنجب منها اطفالا آخرين • لان علاقتى بها غير مستقرة • ولذلك طال هجرى لها •

(أ) فهل للهجر مدة محدودة ؟

(ب) وما حكم الاسلام اذا تركتها فى البيت ، وهى تاركة للصلاة ؟

(ج) وهل اذا طلقها اكون اثما ؟

• ان تدين الزوجة امارة من غير شك على صلاحيتها كزوجة •• وكان مسئلة عن أهل الزوج •• وكأمانة على نفسها ، وعلى غيبة زوجها • وأداء الصلاة هو عنوان على هذا التدين • فهو يطمئن ازوج • ويحقق السكن والاستقرار له ولأسرته • ويمكنه عندئذ من الانطلاق فى نشاطه دون أن ينظر الى الوراء ، ويجمده الشك فى علاقة زوجته به •

والمحدث الشريف الذى يعلن مسئولية الرجل عن أهل بيته ، يضمن هذه المسئولية نصح الزوج لزوجته : أن تستمر فى أداء العبادات وتحافظ على الصلاة فى أوقاتها • والقوامه التى يأمر بها القرآن ليست فقط قوامه اتفاق عليها ، وحماية لها ، ورعاية لشئونها • وانما أيضا قيادة لها فى أداء ما يجب عليها أداءه من عبادات ، بقوته الحسنة ، وبالحكمة فى نصحه اياها •

فهنا واجب على الزوج بحكم قوامته ومسئوليته • وهو ليس متطفلا ولا يتجاوز حد مسئوليته عن أهله. ، ان هو نصح الزوجة بأداء الصلاة ، عندما يلاحظ عليها انها لا تؤديها •

واصرار الزوج على أداء زوجته لعبادة الصلاة - كما يصرح بذلك السائل هنا - هو أمر مطالب به أمام الله سبحانه وتعالى • وله أن يعتبر عدم أداء الزوجة للصلاة ، بعد أمره اياها بالأداء : نشوزا يبيح له شرعا أن يسلك سبيلا من السبل التى تعبر عن غضبه منها وعدم رضاه عن العلاقة القائمة بينهما • وفعلا قد سلك السائل جميع السبل المشروعة : من النصح •• الى الهجر •• الى الضرب •• الى التحكيم • ولم يفلح واحد منها ، ولم تفلح كذلك جميعها فى اثناء الزوجة عن اصرارها على ترك الصلاة •

● **السؤال الآن :** هل اصرارها على ترك الصلاة يدل منها على انكارها لها وعدم ايمانها بأدائها ؟ أم هذا الاصرار يعود الى عناد منها .. وبالتالي الى عدم رغبتها فى استمرار الحياة مع زوجها ؟ .

لا اظن أن زوجة السائل لا تؤمن بالصلاة كعبادة تتقرب بها الى الله . وانما اصرارها على تركها للصلاة هو اصرار على عدم الاستجابة لمطلب الزوج منها . فهى تعاند الزوج دون أن تسعى الى غضب الله ، بالاستمرار على ترك الصلاة .

وهنا يمكن أن يقال : ان الزوج لا يملأ فراغ النفس عند زوجته . ولذا لا تحليه . فهناك شيء بينهما خاب أملها فيه . فقد كانت قبل الدخول به تستجلب رضاه باعلانها عن أداء الصلاة . وكان يسر منها لذلك . فلما دخلت به ودخل بها وانكشفت لها أسرار العلاقة بينهما لم تعد تحرص على رضاه . وهنا ظهر عدم رضاها فى عنادها فى تركها الصلاة . والصلاة اذن ليست مقصودة لذاتها وانما المقصود عدم استجابتها لتحقيق رغباته منها .

انهازوجة لم يمض على زواجها بالسائل هنا فترة طويلة أى انها لم تنزل فى فترة الذكريات . وهى فترة عزيزة على الزوجة بوجه خاص . فكيف يتكرر نصحه لها .. ويهجرها فى المعاشرة الى أجل غير قريب .. ويضربها وان لم يكن ضربا مبرحا ، ولكنه أمر ينم عن غضبه منها .. ثم يحيل العلاقة بينهما الى التحكيم ومع ذلك لا تستجيب لطلبه منها : أداء الصلاة .

ان الفجوة فيما يبدو فى العلاقة بين الزوجين فجوة واسعة ، لا يزيلها الهجر مهما طال مدته .. ولا تركها فى المنزل وشأنها تؤدى الصلاة أو لا تؤديها على سواء .. وانها فجوة الكراهية من جانب الزوجة . والأمر بينهما لا يحتمل سوى الفرقة . والفرقة آخر حل لدفع الضرر عن المتضرر من الزوجين . كما جاء فى قول القرآن الكريم ، بعد فشل التحكيم والصلح بينهما : «وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ، وكان الله واسعا حكيما» ..(١)

وقبل الطلاق يجب أن يراجع الزوج علاقته مع زوجته : أى شيء فى هذه العلاقة من جانبها يغضب زوجته ، ويجعلها تصر على عناده ؟

اهو فى سلوكه معها ؟

اهو فى حديثه ولجاجته فى الحديث .

(١) النساء : ١٣٠

أهو يتعلق بنظافته ؟ أهو فى عاداته فى الأكل ، والشرب والنوم ؟ ٠٠
أهو فى التعبير عن مودته وحبه لها ؟

فان كان هناك مالا ترضى عنه الزوجة فليحاول أن يغيره . فان غيره
ولم تعد الزوجة الى العلاقة الطبيعية معه فالطلاق ضرورة لا مفر منها .
وعندئذ لا يكون متحملا اثما عندما يطلقها .

● وهجر الزوج لزوجته فى المعاشرة ليس مؤتمتا بمدة معلومة . وانما
توقيته فقط بمقف الزوجة نفسها : « فان أطعنكم فلا تيعوا عليهن سبيلا » (١)
٠٠ فما جاء هنا فى الآية الكريمة هو تعقيب على الوسائل الذى يقترحها القرآن
الكريم على الزوج عند خشيته من نشوزها . وقد جاءت هذه الوسائل فى قول
الله تعالى : « والملاى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع
واضربوهن » (٢) ٠٠ ومعنى هذا التعقيب : أنه اذا عادت العلاقة بين الزوجين
الى طبيعتها فليست هناك حاجة الى سلوك واحد من هذه السبل مع الزوجة .
وانما كل شىء فى العلاقة يرد الى المعروف بينهما .

٢١- بعد عقد القران :

تسأل سيدتان من احدى المحافظات ، عن نوع العلاقة بين الخطيبة ٠٠
وخطيبها ، بعد عقد القران بينهما ، وقبل الزفاف اليه : أهى علاقة تسمح
للخطيب بما يسمح به الزواج للزوج من زوجته : أى هل تسمح له بأن يقبلها
٠٠ وبأن يحتلى بها من غير محرم لها ٠٠ وبأن يعاشرها معاشرة
زوجية ٠٠ الخ ؟

● العلاقة بين الرجل والمرأة فى الزواج تمر بمراحل ثلاث :

● المرحلة الأولى : مرحلة الخطبة . وفى هذه المرحلة يجوز للرجل ،
كما يجوز للمرأة : أن يرى كل من الآخر فى نطاق الرؤية الشرعية ٠٠ وأن
يسمع كل منهما لصوت الآخر ، ولحديثه ٠٠ وأن يقف كل على منطقته
وتفكيره ، بما يكون لديه من الامارات ما يرجح قبول كل واحد منهما للآخر .
ونطاق الرؤية الشرعية هو نطاق الوجه والكفين من المرأة ٠٠ ونطاق وجود
المحرم للمرأة : عند الرؤية والحديث .

(٢) النساء : ٢٤

(١) النساء : ٢٤

● **المرحلة الثانية :** مرحلة ما بعد عقد القران ، وقبل الدخول بها عرفا . وفى هذه المرحلة يجوز للثنتين ما يجوز للزوج مع زوجته :لدخول بها : من تقبيل . . . وخلوة من غير محرم . . . ومعاشرة زوجية . . . لأن عقد القران يضىءى شرعية الزوجية على العقد بينهما . . . ويحل لهما الآن ما يجوز منهما قبل عقده . . . فإذا عاش الزوج وزوجته فى هذه المرحلة ونشأت بينهما علاقة جنسية فقد دخل بها . . . والزوجة عندئذ مدخول بها شرعا ، يحل لها المهر كله لو طلقت بعد ذلك ، فرضا . .

● **المرحلة الثالثة :** مرحلة ما بعد الدخول بها عرفا . فى هذه المرحلة يعرف الناس : . . . الاقارب ، والجيران : ان الزوجة زفت الى زوجها ، وأصبحت مدخولا بها . . . ولا يسأل أحد منهم بعد ذلك عن مظاهر الوضع الجديد : من السكنى معا . . . ومن الخروج فى صحبة كل منهما للآخر . . . ومن كون الزوجة حاملا . . . ومن كون لهما ولد أو أولاد . .

والفرق بين هذه المرحلة والسابقة عليها : ان الزوجين يمارسان علاقة الزوجية فى المرحلة السابقة فى شبه سرية . . . بينما هما يمارسانها فى المرحلة الثالثة فى صراحة وفى علن لكل من يعرفهما . .

والعان فى المرحلة الثالثة جاء مما يسمى « بالزفة » . . . أو بالدخلة والاسلام يشجع العنان فى الزوجية ، حتى يكون نسب الأولاد واضحا لكل من يعرف الزوجين . . . وحتى تكون العلاقة بينهما على أساس من كتاب الله وسنة رسوله واضحة كذلك ، فلا يتقول قائل عليهما . . . ولا يسأل سائل عما طرأ عليهما من تغيير لوضعهما السابق . .

وفى الواقع من الناحية العملية فى العلاقة بين الرجل والمرأة ، بعد عقد القران بينهما : لا فرق فيما قبل « الدخلة » . . . أو فيما بعدها : فى الحل . . . والحرمة ، وفيما يجوز . . . وفيما لا يجوز . . . فعقد القران يقرب بينهما كزوج وكزوجة . .

● **والسيدتان السائلتان هنا تسألان فقط عن العرف فيما يسمى « بالدخلة » . . . فالزوجة بعد العقد يقضى العرف أن توفر نفسها فيما يتصل بعلاقة زوجها بها ، الى أن تزف . . . اليه . . . وليلة الزفاف هى ليلة الفرحة الكبرى بالنسبة للزوجين ، وبالأخص بالنسبة للزوجة . .**

«فالعرف» وحده هو الذى يجعل المرأة تصر على أن تكون لزوجها ابتداء عن ليلة الزفاف . . . وليس قبلها . . . وحكم الله : ان المرأة لزوجها منذ عقد قرانها . .

واتباع هذا العرف يقى المرأة كثيراً من الهموم أو الأضرار . فباتباعه كأنها تشهد الآخرين على تكوين أسرتها الجديدة . فقد ولدت الأسرة فى ضوء . . وتعيش كذلك فى ضوء . . وبتابعه أيضاً قد تعطى لنفسها الفرصة فى التعرف على زوجها أكثر . . فأكثر . تعرف من عاداته . . ومن أسلوب حياته ومعيشتة . . ومن تفكيره . . ومن قبضه للمال وبسطه له : مدى ما يمكنها من الملاءمة بين ماله ومالها ، من عادات ، وأسلوب فى الحياة ، . . والمنطق . . وهى فرصة تختلف عن فرصة الخطبة . . وكذلك عن نرصة ما بعد المدخول بها . . فهى مثلاً الآن تحس بارتفاع الحرج فى سؤال زوجها عن أمور ، تخرج كثيراً ان هى سألت عنها فى فترة الخطوبة . . أو ان هى ناقشتها بعد الدخلة بها . . فصدر الزوج الآن مقترح لها ولأمانيتها . . وقلم يعقب بما يغضبها ان هى تمتت أكثر من الطاقة المتاحة له . ولذا هى تعرض الكثير من الأمانى ، التى يقوم معظمها على خيال أو رغبات بعيدة المدى .

والزوج - كما تستفيد الزوجة بالفترة التى هى بين . . بين - يجب عليه أن يستفيد بها أيضاً فى ترتيب منزله وأسرته مستقبلاً . . وفى تحديد السبيل الذى يسلكه مع زوجته .

وربما تعتبر الفترة التى بين الخطبة . . والدخلة ، بعد عقد القران : هى امتع الفترات فى حياة الزوجين . وربما العرف الجارى - وهو اصرار المرأة على أن لا تعطى نفسها عطاء كاملاً الا ليلة الزفاف - يزيد من متعة هذه الفترة للزوجين معا . . وليست هناك فترة فى حياة الزوجين يتلطف فيها كل منهما على الآخر : فى لقائه . . وفى لحديث اليه ، سوى هذه الفترة . . والأمر الذى يقلل من متعة هذه الفترة : أن تستجيب المرأة لمطلوب الرجل . . أو ربما تصبح بعد ذلك عادية أو غير مرغوب كثيراً فيها . . كما كان الوضع اول الامر . . وبالأخص اذا طالت الفترة بعد عقد القران . . الى الزفاف .

والخلاصة : أنه ليس بحرام أن يتصل الرجل بالمرأة بعد عقد القران كما يتصل الزوج بزوجته المدخول بها . . فهما الآن زوجان . . ولكن الانتظار الى ليلة الزفاف ينطوى على مميزات نفسية قلما تواتى أى واحد من الزوجين .

٢٢ - ارادة الحياة فى الزواج أمر يوليه الإسلام عنايته :

رسالتان من طالبتين : احدهما فى الصف الثانوى باحدى المحافظات والثانية فى الشهادة الاعدادية تشكوان من وضع واحد ، وهو :

أن كلاتهما خطبت لقريب لها يكبرها بسنوات عديدة ، ولا تحبه . . وأن كلاتهما أيضا حاولت عدة مرات أن ترد خطيبها وتفهمه : أنها لا تحبه . ومع ذلك يصر الخطيب على الزواج منها رغم أنها كارهة له ، وأزاء اصرار كل منهما على الزواج من قريبته ، رغم كرهها له ، فإن الفتاة هنا وهناك تحاول الانتحار . ولم تشفع المحاولات التي تتجه بها أية منهما الى الأقارب لتخليصها من الكرب والمهوم التي ستقع فيها ، وتسال كلاتهما : عن الحل الذي يبعدها عن الهاوية ؟ .

● أن المشكلة عند الطالبتين السائلتين هنا ، ليست مشكلة الرأي في الفقه الاسلامي : فالفقه صريح في أن البكر لا يعقد عليها الا اذا أخذ اذنها وأذنت . ويكفي في اذنها : أن تسكت عندما تسئل . وبعض الفقهاء يوجب على وليها في العقد : أن ينبهها ثلاث مرات بقوله : ان رضيتي فاسكتي . وان كرهتي فانطقي . وعندئذ اذا استؤذنت وسكتت يتأكد أن سكوتها موافقة منها على العقد .

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه : « ان جارية بكرا أتت رسول الله فذكرت أن اباها زوجها وهي كارهة ، فخيرها النبي ﷺ » .

ويكاد يكون الاتفاق على :

- (١) أن الثيب لابد أن تصرح برضاها عند عقد الزواج .
- (٢) وأن البكر لو زوجت بغير اذنها لا يصح عقد زواجها .

وما يقوله الفقه الاسلامي هنا يمثل منطق الطبيعة الانسانية . ومنطق هذه الطبيعة يؤثر : أن يكون الانسان ملتزما ، وليس ملزما . . أن يكون مختاراً ، وليس مكرها . فالإيمان لا يكره الانسان عليه . والعقد في المعاملات ، وفي الزواج كذلك : لا يكره عليه أى من الطرفين . لأن الاكراه يكون عقبة في التنفيذ في أولى مراحلها . وهي عقبة نفسية تستتبع بعدها عقبات أخرى مادية .

ان الاسلام يقدر المشيئة في الانسان : يقدرها في قيمة ما يقوم عليها . . ويقدرها في انجاز ما ترتبط به . فالمرأة اذا أبدت رأيها فيمن سيكون زوجها لها : تدخل الحياة الزوجية معه وهي مقبلة عليه . وعلى استعداد نفسي لأن تزيل جميع الحواجز من طريقته وتتهيء الأسباب لنجاحه . اما اذا اكرهت على زوج معين فقد تحاول أن تصطنع من العقبات ما يجعله مجالاً للخصومة ، والكرامية ، والنفرة . وبدلاً من أن يكون سبباً للسكنى والمودة والرحمة :

يصبح طريقا الى العداة . وبذلك يشكل مصدرا للمهموم والأحزان ، بالإضافة الى ما تدفع به الحياة ذاتها بسبب الأثرة والأناية : من قلق للنفوس ، وظلم لغير الجانين .

والمشكلة هي مشكلة أسرية أو اجتماعية فى الدرجة الأولى . الوالدان يتصوران : أن لهما الحق المطلق فى اختيار الزوج لابنتهما ، ولو وقع على غير رغبة منها . والاقارب يرون : أن لهم الأفضلية – على الأجانب – فى الزواج من قريباتهم . ولا يتحسسون نوع العلاقات بينهم وبينهن .

قد يكون لدى الوالدين سبب لاختيار واحد معين لابنتهما . لأنهما يريدان مصلحتها فيمن وقع عليه اختيارهما . ولكن هل عرضا عليها أمره ؟ . هل حاولا اقناعها – وليس اكراهها – بمن اختاراه لها ؟

قد تكون الابنة غير ناضجة . أو مندفعة : فيمن تختاره . وهنا يجب أن يقف الوالدان معها بالاقناع والحجة ، وليس بالاكراه والالزام .

والأقارب قد يطرحون شباكهم على قريباتهم ، دون تعرف لميولهن . ثم يصرون على من وقع فى شباكهم . وإن كانوا أكبر منهن سنا . وإن كن غير راغبات فيهم . ويعتبرون انفسهم : أنهم أولى بهن من الغريب . وهذا منطق السلع التى يتجر بها الناس . وليس منطق الزواج . واقامة الأسرة . ومستقبل الأولاد . وقد يكون السبب فى اصرار الاقارب على الزواج من قريباتهم ، والحيلولة بين الغرياء وإن كانوا أكثر صلاحية منهم : هو أن القريبات يكن قد ورثن من المال ما يغرى اقاربهم : على الاحتفاظ بهن والتشبيث بزواجهن . فيتقدم القريب يعلن رغبته . ثم اصراره على الزواج بصاحبة الميراث ، ولو كان قليل الصلاحية للزواج بها : كأن يكون الفارق فى السن بين الاثنتين كبيرا . أو يكون متزوجا بواحدة أخرى أو بأكثر . أو تكون له أولاد كثيرون . مما يجعل قريبتة لو تزوج بها ، لا تستمتع بمعنى الزواج . فهى تعيش فى متاهات ، تحاول بعد دخولها به أن تجد السبيل بعد فترة قصيرة الى الخروج منها .

ووضع السائلتين هو هذا الوضع . ويزيد الأمر صعوبة فيه : انهما يتيمتان واللذان يتقدمان من الاقرباء كانا من الأوصياء عليهما . وقد نصح الله الأوصياء بالابتعاد عن الزواج باليتيمات إن كان الزواج بهن يخشى منه ضياع اموالهن فيقول الله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء (أى ان خشيتم أيها الأوصياء : أن لا تحافظوا على أموال اليتامى وعلى أن لا تباشروها بالعدل ، ان انتم

تزوجتم بهن فاعدلوا عن الزواج بهن ٠٠ الى غيرهن ممن تشاءون) « (١) .
والقصد من العدول عن الزواج بهن هو عدم الطمع فى اموالهن والحيلولة
بينهم وبين اكل هذه الاموال بالباطل ٠ كما جاء النهى عن ذلك فى الآيه
السابقة على هذه الآيه قوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه
كان حوبا كبيرا » (٢) .

● فدين الله يساند هاتين السائلتين فى رفضهما الزواج من اقربائهما :

أولا : انه لا اكراه للمرأة على قبول زواج معين : سواء اكانت بكرا ٠٠
ام ثيبا .

ثانيا : ان الاسلام ينهى عن أن يكون الزواج سبيلا الى ضياع مال
اليتيم واكله بالباطل .

والسائلتان بعد ذلك ان وقع اختيارهما على زوج فليكن صاحب دين .
فهو ابقى للزوجية راقرب الى رعاية الله فى معاشره الزوجة .

٢٣ - رد الامام عند الخطأ امر يطليه الاسلام :

خادم احد مساجد الاوقاف باحد المراكز يروى :

ان امام مسجد وهو حاصل على الشهادة المعالية لا يحفظ القرآن
الكريم ٠ ومن أجل ذلك يلحن فى قراءة الآيه التى يقرؤها فى الصلاة وهو
امام ٠ فيضطر خادم المسجد - وهو حافظ للقرآن ويجيد تلاوته - الى
مراجعتها ٠ فيغضب منه ويكتب تقارير ضده الى مديرية الاوقاف التابع
لها .

والآن يسأل خادم المسجد عما يفعله : أيسكت عن رد الامام فى الصلاة
عندما يخطئ فى قراءة القرآن ، وبذلك يرتكب اثما فى كتاب الله ؟ أم يرد
الامام عند الخطأ فيغضب عليه ويتحداه ؟ ٠ وعلى الأقل يطلب نقله من
المسجد القريب من سكنه الآن ؟

(٢) النساء : ٢

(١) النساء : ٣

● خادم المسجد حائر الآن ، حائر بين رضاء لله ٠٠ وغضب الامام ٠٠ وهو انسان ٠٠ أو بين رضاء الامام وغضب الله جل جلاله ٠ فان سكت عن رد الخطأ أو اللحن فى كتاب الله : أغضب الامام ٠٠ وأرضى الله سبحانه ٠

وليس لامام المسجد فى حقيقة الأمر : أن يغضب اذا رده خادم المسجد عند خطأه فى تلاوة كتاب الله ٠ وانما عليه أن يعتبر بذلك فيعود ويجيد حفظ القرآن الكريم اجادة تامة ، حتى لا يخطيء أو يلحن فيه ٠ بل عليه أن يشكر خادم المسجد على يقظته فى رده عليه عند الخطأ ٠ لأن رد خادم المسجد أخرجه حينئذ كما أخرج الامام معا ، من الاثم ، لو سكت ولم يرد عليه ٠

● ومن جهة أخرى فامام المسجد من علماء الأزهر ٠٠ وداعية الى الله ٠٠ ولا يليق بأى واحد من علماء الأزهر : أن يقصر فى حفظ القرآن الكريم ، فجزء أساسى فى انتساب العالم الى الأزهر هو اجادة تلاوة كتاب الله ، واجادة حفظه ٠ والداعى الى الله لا ينجح فى دعوته الى كتاب الله – وهى رسالة الرسول محمد عليه السلام – الا اذا حفظ كتاب الله ونقل عنه فى احاديثه ما يحفظه منه ، دون مراجعة له ٠

الوعظ ليس حرفة ٠٠ والامامة ليست مهنة يؤجر عليها الواعظ والامام ٠ هى رسالة يؤديها من امتلأ قلبه بالايمان ٠٠ وأحب الدعوة الى دين الله ٠ فالله سبحانه عندما يقول :

« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » (١) ٠٠ لم يربط « الفلاح » فى امة الدعوة بأن تؤدى الدعوة الى دين الله كحرفة أو مهنة ولكن بأن تؤدىها عن ايمان القلب ٠٠ وحسن تطبيق لمبادئها ٠ وليس من حق التطبيق للداعى الى رسالة الله: أن يكون غير مجيد لحفظ القرآن وتلاوته وكل شىء يجوز أن يكون مهنة أو حرفة ٠ عدا رسالة الله ٠٠ والا اذا اتخذها الانسان حرفة أو مهنة أصبحت وسيلة لغاية أخرى ، وليست غاية فى ذاتها ٠

والامام الذى يأخذ أجرا على وظيفة المسجد ٠٠ والواعظ الذى يأخذ أجرا على وظيفة الوعظ : هو فى واقع الأمر لا يأخذ على امامة الصلاة ٠٠ أو على العظة التى يلقبها وانما الأجر هو مقابل الانقطاع لخدمة الدعوة ٠ أما الدعوة نفسها فليس لها أجر مادى انما أجرها عند الله ٠ وبهذا يأمر القرآن رسوله ان يبلغ قول الله تعالى فى شأن الدعوة الى الحق : « قل

(١) آل عمران : ١٠٤ ٠

لا أسألكم عليه أجرا ، ان هو الا نذكرى للعالمين « (١) ٠٠ فليس تبليغ القرآن للناس مما يُؤجر عليه منهم .

● والأئمة والوعاظ ان أخذوا أجورا مقابل انقطاعهم لخدمة الدعوة فهي أجور تبرع بها الواقفون على البر والخير ، وليست من الضرائب التي تجبيها الدولة للمنافع المادية العامة . والفريقان : الأئمة والوعاظ من جانب ٠٠ والخيرون الذين أوقفوا أموالهم على الدعوة من جانب آخر : يقصدان وجه الله . ومن هنا يعيش الامام والوعاظ فى رحاب الله ٠٠ ومن أجل الدعوة الى رسالته . وكل منهما ان باشر الامامة فى المسجد أو بأشرف الوعظ خارجه أو داخله : فقد نذر نفسه لله .

ومن واقع وظيفة الامامة أو الوعظ : يجب على الامام والوعاظ أن يتقن ما لله ٠٠ ان يتقن كتاب الله ٠٠ وان يجيد ما يتصل به ٠٠ وان لا يتحدث الا بما هو واثق فى نسبته الى المولى جل جلاله أو لرسوله الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام . والله هو الذى سيوفيههم اجورهم لانهم عندئذ : هم الأئمة على دينه ٠٠ وهم الخلفاء لصاحب الدعوة محمد صلى الله عليه وسلم .

والأئمة الشبان لا ينقصهم الا أن يفهموا رسالتهم على حقيقتها . وعندئذ يعيشون فيها ، ومن أجلها . وطالما أبعدوا انفسهم عن ان يحترفوا بالدعوة ويتخذوها مهنة فليسوا كغيرهم من أصحاب الحرف والمهن . انهم من واقع رسالتهم فوق هؤلاء وهؤلاء وسيحسون بهذا الواقع ان هم أدوا الرسالة كما ينبغي . والقرآن ان أجادوا حفظه وتلاوته لا يوقظون به النفوس فحسب . وانما يجعلونها خاشعة لذكر الله ، ومطبعة فى سبيله .

● ان الامة الاسلامية تنتظر الكثير من الأئمة والوعاظ من علماء الأزهر . ان أمامكم تحديات للقرآن لا تنتهى . ان أمامكم انحرافات فى سلوك الناس قذفت بها الحضارة المادية الى مجتمعات المسلمين وفى نفوس شباب هذه المجتمعات . فلا تتراجعوا : ادرسوا هذه التحديات . وعودوا الى كتاب الله تجدون صنعة الله فى اتقانها وفى حسن معاملها تفوق بكثير صنعة الانسان . لستم فى حاجة لكى تنجحوا فى رسالتكم الا أن تحملوا ايماننا قويا فى قلوبكم ٠٠ وتضعوا كتاب الله فى أفواهكم والسنتكم . والله يتولانا جميعا بالتوفيق .

(١) الأنعام : ٩٠ .